الصراع العثماني البرتغالي حول البحر الأحمر والقرن الإفريقي خلال القرن القرن السادس عشر الميلادي

أ.م.د. عبدالحكيم عبدالمجيد الهجري

قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة صنعاء- اليمن .

المستخلص:

احتلت الممرات والمضائق المائية دوراً محورياً في العلاقات الدولية بشقيها الاستراتيجي والتجاري وقلما تجتمع لمنطقة ما من العالم المميزات الجغرافية والحضارية والسياسية مثلما اجتمع لمنطقة البحر الأحمر وشرق إفريقيا (القرن الأفريقي)بموقعهما الوسط كشريان حيوي للمواصلات المائية، وبتوسطهما بين حضارات العالم المختلفة من عربية وإفريقية وغيرهما، وترجع أهمية البحر الأحمر وشرق إفريقيا إلى أنهما كانا ومازالا همزة الوصل بين الشرق والغرب، فيما يمثل البحر الأحمر بأنه يختصر المسافة بين الغرب الأوروبي والشرق الإفريقي والآسيوي اختصاراً شديداً في الوقت والمال والزمان بالنسبة للإبحار فيه.ولقد أولى العثمانيون منذ سنة 1517م اهتماماً بالغاً بالبحر الأحمر وشرق إفريقيا وأصبحت مسؤولية حمايتهما وسواحلهما تقع على عاتقهم، وكان عليهم مراقبة الأطماع البرتغالية في هذين المنفذين البحريين ومداخلهما، ولقد بدأت خلال هذه الفترة مرحلة جديدة من التنافس حول هذا البحر والقرن الإفريقي وممارسة النشاط التجاري فيهما، حيث بذل العثمانيون جهداً كبيراً للحفاظ عليهما كبحيرة إسلامية وتركز النشاط التجاري فيه على القوى الإسلامية وبخاصة في يد العرب والمسلمين وقد اتسمت خطواتهم الأولى بالحذر. حيث إننا نجد أن الحملات البرتغالية استمرت وبشدة على سواحل البحر الأحمر في الأعوام 1523-1620م .أما بالنسبة للبرتغال فقد كانت من أوائل الدول الأوروبية التي سعت للتوسع خارج أراضيها وذلك منذ القرن (15م) ،ولهذا استغلت الدولة قربها الجغرافي من شمال القارة الإفريقية، فعملت على إقامة المراكز العلمية التي تهتم بالكشوفات الجغرافية، ويعد موضوع الصراع العثماني البرتغالي خلال القرن السادس عشر الميلادي، والذي كان موازياً لحركة الكشوف الجغرافية للسيطرة على البحر الأحمر والقرن الإفريقي، في الفترة مابين (1500 - 1600م) - والتي ابتدأت بالمرحلة الكشفية عبر البحار،حيث وصلوا إلى رأس الرجاء الصالح بقيادة (بارثلموديز)- يعد البداية الفعلية لافتتاح صفحة الاستعمار الحديث والأطماع الأوربية في القارة الإفريقية،

من خلال تجارة الهند الشرقية المتمثلة (بالتوابل). ولقد وقف العثمانيون في وجه البرتغاليين- بعد أن نشروا الخراب في الشرق، حيث استطاعوا أن يطردوا البرتغاليين من البحر الأحمر ثم سيطروا على الأجزاء الشمالية من شرق إفريقيا(إرتريا وشمال الصومال) .

Abstract::

The waterways and straits played a pivotal role in the strategic and commercial aspects of the international relations .It is rarely to have together the geographic، civilization، and political features of a region in the world as same as the Red Sea and East Africa(Horn of Africa).Their central location is the lifeblood for marine transportation due to their mediation between the different civilizations of the world as Arabic، African and others. The importance of the Red Sea and East Africa is owing to the fact that they were and still are the main link between East and West .The Red Sea shortens the distance between the Western Europe and the East of Africa and Asia. Furthermore، it is a severe abbreviation in saving time and money .Since 1517 A.D، Ottomans paid a great attention to the Red Sea and East Africa. They were responsible to protect them and their coasts. Thus ،They had observed the Portuguese ambitions in these two seaports and their entrances .During this period ،It began a new stage of competition to control over the Red Sea and African Horn(Cape of Good Hope) and there was also a practice of commercial activity in them .The Ottomans made a great effort to preserve them as an Islamic lake. The Commercial activity focused on Islamic forces ، especially in the hands of Arabs and Muslims .Thus، the Ottomans'first steps were very cautious. As we find that the Portuguese campaigns continued strongly on the coasts of the Red Sea in the years 1523-1620 A.D.For Portugal، it was one of the first European countries that sought to expand outside its territories since the 15th century AD .،For this reason، Portugal took advantage of its geographical proximity to the north of the African continent، and worked to establish scientific centers

that are concerned with geographical discoveries.Meanwhile،the Ottoman-Portuguese conflict in 16th century، there was also a parallel movement for nautical expeditions and geographical discoveries to control thd Red Sea and Horn of Africa (1500-1600 A.D). After the Portugues spread out the destruction in the East ، the Ottomans stood up to fight the Portugese and succeeded to expel them from the Red Sea and then they took control of the northern parts of East Africa as Eritrea and north Somalia .

المقدمة:

يعد موضوع الصراع العثماني والبرتغالي والذي قام في بداية القرن السادس عشر وكان موازياً لحركة الكشوف الجغرافية للسيطرة على البحر الأحمر والقرن الإفريقي، في الفترة مابين (1500 - 1600م) - والتي ابتدأت بالمرحلة الكشفية عبر البحار،حيث وصل البرتغاليون إلى رأس الرجاء الصالح بقيادة (بارثلومدياز(1487م)- يعد البداية الفعلية لافتتاح صفحة الاستعمار الحديث والأطماع الأوربية في القارة الإفريقية، من خلال تجارة الهند الشرقية المتمثلة (بالتوابل)، والتي اشتهرت بها. ومن ثم انتقالهم إلى مرحلة حاولوا فيها السيطرة على الساحل الإفريقي الشرقي(القرن الإفريقي)، من خلال فرض قوتهم حيث عملوا على بناء القلاع والحاميات الدفاعية، في سبيل تحقيق هدفهم ذلك، ومن ثم جاءت مرحلة محاولتهم النفوذ إلى الداخل، من خلال محاولتهم التحالف مع بعض الزعامات المحلية هناك، إضافة لتعاونهم الكبير من الأحباش، ولذلك فد واجهتهم الدولة العثمانية بشكل جدي من خلال مقاومتها لهم أثناء محاولات السيطرة تلك .

تمهيد:

قلما تجتمع لمنطقة ما من العالم المميزات الجغرافية والحضارية والسياسية مثلما اجتمعت لمنطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي بموقعهما الوسط كشريان حيوي للمواصلات المائية، وبتوسطهما بين حضارات العالم المختلفة من عربية وإفريقية وغيرهما، ولقد احتلت الممرات والمضائق المائية دوراً محورياً في العلاقات الدولية بشقيها الاستراتيجي والتجاري. وقبل هذا وذاك محورها التاريخي عبر العصور.إذ إن من البديهي لباحث التاريخ أن يتعرف على الموقع لدراسة تاريخ أية أمة أو دولة أو بحر .باعتبار أنه من العوامل الأساسية في تشكيل الأحداث التاريخية. وترجع أهمية البحر الأحمر وشرق إفريقيا إلى أنهما كانا ومازالا همزة الوصل بين الشرق والغرب، فيما يمثل البحر الأحمر بأنه يختصر المسافة بين الغرب الأوروبي والشرق الإفريقي والآسيوي اًختصاراً شديداً في الوقت والمال والزمان بالنسبة للإبحار

فيه. ويتميز البحر الأحمر بين بحار العالم بموقعه الفريد، فهو يقع عند التقاء القارات الثلاث إفريقيا وآسيا وأوربا ،كما أنه يشكل حلقة الاتصال بين البحار الشرقية والغربية، ويعتبر الشريان الحيوي المهم للمواصلات بين أوربا وبلاد الشرق بوجه عام، وقد ظل البحر الأحمر على مدى العصور التاريخية المتعاقبة، عاملاً فعالاً لربط البلاد المحيطة به بعضها ببعض، فهو يشكل طريقاً للملاحة البحرية بينها،ووسيلة تسهل التبادل التجاري والحضاري بين شعوبها، فكان بذلك سبباً في ازدهارها،كم أنه ظل مطمحاً للقوى الكبرى تتطلع دائماً للسيطرة عليه لتتحكم في تجارة الشرق، وليكون لها السيادة على غيرها.وفي حقيقة الأمر فقد أولى العثمانيون منذ سنة 1517م اهتماماً بالغاً بالبحر الأحمر ومنطقة شرق إفريقيا(القرن الإفريقي) وأصبحت مسؤولية حمايتهما وسواحلهما تقع على عاتقهم،و كان عليهم مراقبة الأطماع البرتغالية في هذين المنفذين البحريين ومداخلهما، ولذا فقد بدأت مرحلة جديدة من التنافس حول هذا البحر وممارسة النشاط التجاري فيه، وقد بذل العثمانيون جهداً كبيراً للحفاظ عليه كبحيرة إسلامية وتركز النشاط التجاري فيه على القوى الإسلامية وبخاصة في يد العرب والمسلمين واتسمت خطواتهم الأولى بالحذر الشديد، نتيجة للحملات البحرية –العسكرية –البرتغالية والتي استمرت وبشدة على سواحل البحر الأحمر في الأعوام-1523 1620 م.

أما بالنسبة للبرتغال فقد كانت من أوائل الدول الأوروبية التي سعت للتوسع خارج أراضيها وذلك منذ القرن (15م) ، ولهذا استغلت دولة البرتغال قربها الجغرافي من شمال القارة الإفريقية، فعملت على إقامة المراكز العلمية والتي تهتم بالكشوفات الجغرافية، واستدعت العلماء والمختصين ممن كان لهم علاقات مع العرب والذين استفادوا من النهضة العربية العلمية في حينها، بحيث اقتبسوا من الخرائط التي رسمها بعض المسلمين (كالإدريسي ، البيروني)، وأيضاً ممن اهتموا بالبحر وريادة السفن الملاحية كابن ماجه وغيرهم. ولذلك فإن البحث سوف يتطرق إلى الأوضاع التي كان يمر بها البرتغال في القرن (16م) سواء كانت (سياسية ـ علمية ـ اقتصادية) وهي ما جعلتهم يفكرون بالقيام بالكشوفات الجغرافية. التي كانت المقدمة الأولى للاستعمار الأوروبي بالقارة هذا من جانب، ومن جانب آخر سنحاول التطرق إلى جهود العثمانيين لإيقاف هذا المد البرتغالي الذي بات يشكل خطراً قوياً على دولتهم بشكل عام، وعلى خطوط التجارة العالمية –حينذاك- بشكل خاص.

ونظراً للأهمية التي ميزت البحر الأحمر والقرن الإفريقي وجعلتهما هدفاً رئيساً سعى العثمانيون والبرتغاليون للسيطرة عليهما، حيث تكمن أهميتهما الاستراتيجية وذلك

لوقوعهما على الطريق الذي يصل إفريقيا عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي وصولاً إلى أرض التوابل (جزء من الهند الشرقية) بالإضافة إلى أن بعض العوامل ساعدت البرتغاليين ودفعتهم للقيام بالرحلات والكشوف الجغرافية ونجاحهم في الوصول إلى القارة الإفريقية والمتمثلة بالقرب الجغرافي من أوروبا وإلى جانب الهدف الديني والقائم على نشر المسيحية بين الإفريقيين.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه:

1. يتناول موضوعاً مهماً له عظيم الشأن في المنطقة العربية والعالم، حيث يعتبر البحر الأحمر والقرن الإفريقي المنفذين البحريين اللذين يربطان القارتين الآسيوية والإفريقية بالعالم الإسلامي والأوروبي.
2. يمثلان للدول المطلة عليهما أهمية أمنية كبرى وعمقاً استراتيجياً مهماً.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى القراءة التحليلية للأوضاع التي جرت في منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي، ومحاولة التطرق إلى المجريات الواقعة خلال هذه الفترة (موضوع البحث) بهدف السيطرة على منافذ التجارة العالمية آنذاك.

إشكالية البحث:

يحاول البحث الإجابة على مجمل من التساؤلات التالية:

ماهي الأسباب التي أدت الى اهتمام الدولة العثمانية بمنطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي، وماهي الأسباب التي نتج عنها قيام البرتغاليين بحركة البحوث الجغرافية في القرن (15م)؟ وهل نجحوا في ذلك؟ هل لعبت الظروف الداخلية في منطقة القرن الإفريقي الدور المهم والتي دفعت من خلالها البرتغال للسيطرة على هذا الجزء من إفريقيا؟ ثم ماهي الأحداث التي رافقتها؟ والتي مكنت البرتغاليين من تحقيق هدفهم الرئيس وهو نشر المسيحية ؟ ماهي التحالفات والصراعات التي جرت بين العثمانيين والبرتغاليين وسكان القرن الإفريقي والبحر الأحمر ؟

منهج البحث:

سوف تعتمد دراسة البحث المنهج التاريخي التحليلي .

سنحاول بدايةً التطرق إلى البرتغال لما يمثل وجودها في هذين المنفذين البحريين من أهمية لفتت أنظار الدولة العثمانية إليها.

أوضاع البرتغال في أوروبا قبيل القرن(١٦م).

كانت البرتغال قبل قرنين من بداية القرن (15م)، قد نالت واستكملت وحدتها واستقلالها وذلك في القرن (13م)[1] ، ولقد بدأت تتطلع إلى خارج أوروبا حيث مرت بأوضاع يمكن أن نوجزها فيما يلي:

1- الأوضاع السياسية:

في واقع الأمر لم يكن الوضع السياسي في البرتغال مستقراً والسبب في ذلك يرجع إلى النزاع والتنافس الذي كان قائماً بين الملوك في الأندلس، وهو ما نتج عنه نشوب الصراع النصراني الإسلامي، مما أدى إلى طرد المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية عام(1492م) وضمها للأراضي التي أطلق عليها اسم (البرتغال)، ويعتبر الفونسو الأول المؤسس الحقيقي للمملكة، إضافة إلى عوامل اقتصادية جعلت من فئات الشعب تثور على الحكومة معلنة عن مطالبها، وهو ما دفع بهم إلى تبني عمليات الكشوف الجغرافية وغزو البحار في فترات قادمة [2].وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور دوافع اقتصادية وعوامل جغرافية قادت بالتالي البرتغاليين إلى التطلع خارج أرضهم والبحث عن أماكن جديدة وهو ما توضح جلياً في المستقبل القريب وهو القرن(16م).

2-الأوضاع العلمية:

نتيجة لاحتكاك العرب والمسلمين بالبرتغال، والذين كانوا يحكمون بلاد الأندلس لعدة قرون فقد انتشرت المعارف العلمية وخصوصاً في الجغرافيا والفلك والملاحة، ولذلك أنشأ البرتغاليون مدرسة لتخريج الملاحين المهرة، وهم من أسسوا الموانئ البحرية فيما بعد، وقرأوا رحلة ابن بطوطة[3] . وكان ابن بطوطة قد زار الهند والصين وإفريقيا وتعرف على أهلها وعاداتهم وتقاليدهم، ووصفها وحالة الثراء التي يعيش فيها أبناؤها وخاصة في المناطق التي زارها، وعمل على تصحيح بعض المعتقدات والأفكار التي سادت أوروبا في مرحل العصور الوسطى [4].كما يلاحظ أن البرتغاليين استفادوا من التقنيات التي استخدمها العرب في الملاحة كاستخدام البوصلة البحرية، وأضافوا إليها مؤشراً يوضح من خلاله حركة الرياح وهو ما ساعد في تقدم الملاحة إلى جانب تقدمهم في مجال صناعة السفن والتي وصلت في وزنها إلى حوالي (200) طن[5].

الأوضاع الاقتصادية:ـ

أما بالنسبة للوضع الاقتصادي الذي حل على المملكة فقد تمثل بانعدام الذهب، مما أدى إلى توقفها عن إصدار العملة منذ العام (1435م)، وقد نتج عن ذلك حدوث أزمة اقتصادية واجتماعية حادة أضرت بالتجار والدولة والطبقة البرجوازية (النبلاء، الكنيسة)[6] . وقد ألزم انهيار الاقتصاد الضعيف

الدولة لأن تتدخل، ولكن ونظراً لفقر مواردها، فقد عمل حكامها على رفع ثرواتها وذلك عن طريق الاهتمام بالتجارة والتخطيط للسيطرة على طرق وموارد إفريقيا أولاً ومن ثم الوصول إلى الشرق الإسلامي في المرحلة القادمة [7].
هذا فضلاً على أن القرن (15م) كان البداية للجهود البرتغالية التي بدأت مع مطلعه وذلك بهدف التوسع الاقتصادي والذي توج على يد الأمير هنري الملاح، وهو ما انعش المملكة اقتصادياً وذلك بعد كشوفاتها الجغرافية واكتشاف رأس الرجاء الصالح على يد الرحالة بارثلومودياز[8].ونتيجة ازدهار الوضع الاقتصادي لدى البرتغاليين واستقرار الأوضاع الداخلية ووفرة المال وبناء السفن فقد ساعدها ذلك على التفكير للقيام برحلات الكشوف.
الكشوف الجغرافية البرتغالية:ـ

وقبل الحديث عن الكشوف الجغرافية وأسبابها، فإنه يتوجب علينا في البداية التطرق إلى ماذا نعني بهذا المصطلح وما هي الدول التي قامت بهذه الحركة والتي كانت مقدمة المقدمات للاستعمار في إفريقيا.

(أ) الكشوف الجغرافية (كمصطلح).

وهي الرحلات التي قامت بها بعض البلدان الأوروبية في القرن (15م) بهدف الكشف عن طرق جديدة لا يتحكم بها العرب والمسلمون، ومن ثم الوصول إلى مناطق إنتاج الذهب والفضة والتوابل وغيرها من السلع، وكانت أول تلك البلدان (البرتغال) والتي استفادت من التطور العلمي لدى جيرانها من العرب في ذلك [9] ومن الأسباب التي دعت إلى الكشوف.

1. كان من أول الأسباب التي دفعت بالبرتغال إلى الكشوف هي احتكار أو معرفة الطريق التجاري الذي كان يسيطر عليه العرب.والذي تمثل في البحث عن السلع التي كانوا يشتهرون بها وخاصة (التوابل، اللبان).
2. اكتشاف الطريق الموصل إلى الهند وذلك لجلب العطور والتوابل الشرقية.
3. كما أن السبب المباشر والذي كانوا يدعونه وهو دافع نشر المسيحية والتبشير بها في المناطق التي تقع خارج الإطار الأوروبي[10].
4. الرغبة في اكتشاف مناطق جديدة.
5. التأييد والترحاب الذي لاقاه الرحالة من قبل ملك البرتغال، وابنه الأمير هنري[11] والمعروف بـــ(الملاح) والذي كان ملماً بالجغرافيا والرياضيات، وكان متحمساً لنشر المسيحية بين سكان القارة الإفريقية، والذي قاد حركة الكشوف الجغرافية[12].

ولذلك كله فقد كانت البرتغال أول دولة أوروبية بدأت حرك الكشوف الجغرافية، وقد تزعم الأمير هنري الملاح العمل على كسب وضم أراضٍ وميادين جديدة للمسيحيين، حيث أمضى حوالي(40) عاماً في إعداد الحملات الاستكشافية وإيفادها إلى شواطئ إفريقيا، وأثناء ذلك تمكن البرتغال من اكتشاف بعض

الجـزر في المحيـط الأطلـسي (غربـاً) مثـل (ماديـرا ، كانـاري ، أزور) إضافـة إلى بعـض المراكـز في الشـاطئ الإفريقـي كالرأس الأخـضر (1446م) والـرأس الأبيـض(1441م)، وكل هـذا تـم وبتشـجيع مـن الأمـير البرتغـالي[13]. ولقـد أثـرت وفـاة هنـري الملاح عـام1460م في حركـة الكشـف الجغـرافي ولكنهـا لـم تتوقـف خصوصـاً بعـد أن أثبتـت التجـارب للبرتغاليـين بـأن إفريقيـا هـي القـارة التـي سـوف تهيـئ لهـم المـوارد الغنيـة والثـروة الطائلـة مـن الأربـاح التـي سـيجنونها مـن وراء تجـارة الرقيـق، والتـي كان المؤسـس لهـا الأمـير البرتغـالي هنري[14]،وتواصلـت تلـك الجهـود عـلى يـد كثـير مـن الرحالـة، والذيـن أسـهموا وبشـكل كبـير في بلـوغ هـذه المنطقـة وعـبر عـدة رحـلات كشـفية وهـي عـلى النحـو الآتـي:ـ

الرحلات الكشفـية:ـ

(أ) رحلة بارثلموديـاز(1487م):

شـهد القـرن الخامـس عـشر الميـلادي جهـوداً برتغاليـة متواصلـة مـن أجـل الوصـول إلى الهنـد، ولقـد بلغـت هـذه الجهـود قمتهـا عـلى يـد القائـد البحـري الشـهير بارثلموديـاز الـذي قـام برحلـة إلى الطـرف الجنوبـي مـن القـارة الإفريقيـة وعـبره لمسـافة قصـيرة في جـو عاصـف بعـد أن قـاسى الكثـير مـن الصعـاب والعراقيل خاصـة الطبيعيـة، وأطلـق عليـه (رأس العواصـف) وأسـماه البرتغاليـون تيمنـا رأس الرجـاء الصالـح سـنة 1487م[15].إلا أن تلـك الجهـود توقفـت لعـشر سـنوات، والسـبب في ذلـك يعـود إلى أن الأسـبان أعلنـوا عـن اكتشـاف طريـق سـهلة توصـل إلى كاليكوتـا[16] ، وهـو مـا دفـع الملـك عمانوئيـل الأول(1495 – 1521م) فيمـا بعـد لأن يوجـه حكومتـه إلى ضرورة اسـتئناف الحركـة الكشـفية [17].

(ب)رحلة كوفيلهام (1487م):ـ

أرسـل ملـك البرتغـال يوحنـا الثانـي(1481-1495م)بـيرو دي كوفيلهـام إلى الـشرق في عـام 1487م، وقـد حـدد الملـك لكوفيلهـام ثـلاث مهـام خـلال هـذه الرحلـة، الأولى تتمثـل في جمـع المعلومـات عـن الحبشـة التـي كانـت تعـرف في أوربـا حينئـذ باسـم (مملكـة القديـس جـون أو يوحنـا) مـن أجـل السـعي للسـيطرة عليهـا، وذلـك في سـبيل تأمـين الطريـق المكتشـفة والمؤديـة للهنـد، فعمـل على إرسـال البعثـات التبشـيرية الدينيـة إليهـا، والتـي لعبـت الـدور الكبـير في مرحلـة الكشـف الجغـرافي، فيمـا كانـت المهمـة الثانيـة معرفـة بالمصـادر الأصليـة للتوابـل، أمـا المهمـة الأخـيرة فقـد تمثلـت في معرفـة طـرق هـذه التجـارة عـبر البـلاد العربيـة ووصولهـا إلى البندقيـة [18].

(ج)رحلة فاسكو دي جاما(19)(1497م):

قاد فاسكودي جاما في 8يوليه سنة 1497م وبتكليف من الملك حملة بحرية تألفت من أربع سفن و (160) بحاراً واتجهت في طريقها حتى وصلت للمنطقة الجنوبية الشرقية من القارة، مارة بموزمبيق ومباسا[20].على اعتبار أن منطقتي موزمبيق ومباسا من الثغور والشواطئ الإفريقية الشرقية، والتي كانت تسكنها جماعات من التجار العرب والذين كانوا يحتكرون تجارة الشرق (التوابل ، اللبان) [21]،ولقد وصل دي جاما إلى كاليكوت أهم موانئ ساحل ملبار[22] في 20 مايو عام 1498م.وفي حقيقة الأمر فقد كانت الرحلة التي قام بها (فاسكو دي جاما) ووصوله إلى الهند هي الرحلة الأولى في تاريخ البرتغال إلى الشرق ،حيث تطورت أغراض البرتغاليين من وراء الكشوف البحرية في خلال عشر سنوات فقط(1499-1509م)من مجرد الرغبة في كشف الطريق البحري إلى الهند لتحقيق بعض المكاسب الاقتصادية، إلى الرغبة في احتكار التجارة الشرقية والسيطرة على مصادرها الأصلية،بل وإلى إقامة أول حكومة استعمارية أوروبية في الشرق [23] .

أوضاع البحر الأحمر والقرن الإفريقي في نهاية القرن (15م):

تعتبر الفترة من 1497-1498م فترة حاسمة في تاريخ شعوب منطقة المحيط الهندي،وسواحل العرب في الخليج العربي والبحر الأحمر،إذ إن أبواباً قد فتحت على سكان تلك المنطقة، وتوالت منها غزوات الشعوب الأوربية، وكما ذكرنا آنفاً فقد كانت لرحلة بارثلميودياز1487م أثرها الفعال في تمهيد الطريق أمام البرتغاليين للانطلاق نحو الشرق[24] ، ولقد واصل البرتغاليون جهودهم لتنفيذ خططهم في البحر الأحمر على نحو ما بدأ في الحملة البرتغالية التي وصلت إلى مدخل البحر الأحمر في سنة 1520م والتي ركزت اهتمامها على مهاجمة جدة على وجه الخصوص، هذا فضلاً عن إنزال أول بعثة دبلوماسية برتغالية إلى السواحل الحبشية، وقد عاد البرتغاليون إلى الاهتمام بعدن بعد أن فشلوا في الوصول إلى جدة نظراً لمعاكسة الرياح لهم من جهة ووجود حشود كثيرة فيها من جهة أخرى، مما جعلهم يخشون مهاجمتها، ولهذا رأوا من الأفضل لهم أن يسيطروا على عدن حتى لا تقع في قبضة العثمانيين[25] ولقد اتسمت الأوضاع في منطقة القرن الإفريقي خلال هذه الفترة بالتدهور والفوضى السياسية، وكثرة المنازعات القبلية المذهبية بين الممالك والدول الإسلامية في شرق إفريقيا، ومن جملة تلك الصراعات ما يلي:ـ

الصراع بين ماليندي وممباسا:

نشب هذا النزاع مع قدوم البرتغاليين إلى المنطقة، حيث تسلم حاكم مدينة ممباسا عدة رسائل من قادة البرتغال العسكريين طالبوه فيها بعقد تحالف معهم، وقد تردد في قبول هذا الطلب، فما كان منهم إلا أن توجهوا إلى حاكم (ماليندى) والذي عمل على الترحيب بهم وقدم لهم كل المساعدة والتي مكنتهم من أن يغزو الهند ويسيطروا على الساحل الشرقي لإفريقيا[26].وفي واقع الأمر فقد استغل البرتغاليون حالة التمزق الذي كان يعاني منها أهالي هذا الساحل، حيث عمدوا إلى تعميق هذا التمزق بهدف إضعاف سكانه وإشغالهم بخلافاتهم مع القوى الأخرى، كل ذلك كان من أهم العوامل التي مهدت الطريق للبرتغاليين للسيطرة على القرن الإفريقي[27].ومما لاشك فيه فقد لعبت الظروف الداخلية للقرن الإفريقي دوراً مهماً في تثبت البرتغاليين لأقدامهم في المنطقة وذلك بعد أن نجحوا وكأي مستعمر في بث روح الفرقة وزرع الخلافات بين القبائل العرقية منها والمذهبية.

المحاولات البرتغالية للسيطرة بحرياً:

• السيطرة على الطريق التجاري.

كانت البرتغال وبفضل الجهود التي بذلها الأمير هنري الملاح، والذي اكتشف الساحل الغربي لإفريقيا كما ذكرنا سابقاً، واستعمرت بعض الجزر، على يد مجموعة من المكتشفين مثل(فاسكو دي جاما) الذي وصل للهند، وكابرال الذي وصل إلى البرازيل، بالإضافة إلى (البوكيرك) أشهر القادة البرتغاليين الذين ظهروا في البحار الشرقية، إلى مياه المحيط الهندي عام 1506م والذي احتل عدن عام 1523م وسيطر على البحار العربية وجعلها بحيرة برتغالية[28]. وقد ساعد موقع البرتغال الممتاز على توجيه أنظاره إلى السواحل، وعملهم على اكتشاف ما وراء المحيط الأطلسي، وبعد أن نجحوا في الالتفاف حول القارة الإفريقية، للوصول إلى طريق التوابل، حيث وصلت سفنهم لأجزاء من الساحل والذي كانت تصله قوافل التبر الآتية من منطقة السودان الغربي، وأسموها بنهر الذهب ثم ولوجهم إلى جزر الرأس الأخضر[29].وكان بارثلومودياز-كما ذكرنا آنفاً- قد اجتاز (رأس الرجاء الصالح) ودخلت سفن البرتغال إلى المحيط الهندي، وبذلك وجد البرتغاليون طريقهم إلى الهند مصدر التوابل والحرير[30].

السيطرة على البحر الأحمر:

يعتبر البحر الأحمر ذو أهمية سياسية واقتصادية واستراتيجية كبيرة، كونه معبراً ومنفذاً مهماً لمرور التجارة، وعبر الطريقين (البري والبحري)

القائمين على الجهتين العربية والإفريقية[31].وقد أوجد ذلك تنافساً دولياً للوجود فيه وفي محيطه وعلى جزره، وأهمية البحر الأحمر تؤثر وتتأثر بمناطق العالم الجغرافية القريبة والبعيدة على حد سواء وذلك لوجود باب المندب وخليج تيران بوابات التجارة العالمية فيه[32]،وبعد أن نجح البرتغال في الوصول إلى شرق القارة، وسقطت معظم الإمارات العربية القائمة على الساحل تحت سيطرتهم، اتجهوا بعد ذلك إلى مياه البحر الأحمر واستولوا في سنة (1507م) على جزيرة سقطرى الواقعة في مواجهة القرن الإفريقي وتشرف على مدخل خليج عدن المؤدي إلى البحر الأحمر، وكانت عاملاً حاسماً في تحكم البرتغاليين في الطريق البحري المباشر بين مصر والهند[33] ، وهدفوا من عملهم هذا الاستيلاء والسيطرة على المدخل الرئيسي للبحر الأحمر الجنوبي[34]وإلى محاولة إثارة الشعور العام للمسلمين عن طريق تهديد أماكنهم المقدسة في الحجاز، مع محاولة تحطيم الأساطيل المصرية أو حجزها في الموانئ الجنوبية لدولة المماليك أو الدولة العثمانية على البحر الأحمر[35].ولقد تنبه المماليك لخطورة ما يقوم به البرتغاليون من انتشار واسع في المنطقة، واتجاههم إلى البحر الأحمر، وهو الممر الذي يؤدي إلى الأماكن المقدسة للمسلمين، فاتجهوا إلى تدعيم قوتهم على سواحله وخصوصاً قرب مدينة (جدة)، وهذا ما دفع بسلطان المماليك قانصوه الغوري(1501-1517م)، لأن يتخذ عدة إجراءات وهو ما #سيتضح لاحقاً، من خلال سير الأحداث[36].

الموقف المملوكي من البرتغاليين:

اتسم الموقف المملوكي من البرتغاليين بشيئين رئيسيين، حيث كان الأول موقف مهادنة (دبلوماسي)، تغير لاحقاً إلى موقف عسكري حربي قائم على المعارك والمناوشات والتي ستتضح معالمها على النحو الآتي:

(أ) الموقف الدبلوماسي:

والمتمثل بموقف السلطان المملوكي قانصوه الغوري والذي كان ضعيفاً والسبب يعود إلى السيطرة البرتغالية على الطرق التجارية، ولقد أبدى المماليك اهتماماً بالغاً لإيقاف تحول التجارة إلى أيدي البرتغاليين، ولكنهم كانوا أضعف من مواجهة هذه الدولة البحرية الناشئة،كما كانوا أعجز من القضاء على قوتها البحرية، نتيجة عدم امتلاكهم للسفن والأسلحة الحربية الحديثة والمتطورة، فالدولة المملوكية لم تكن بحرية كما هو حال البرتغال، بالإضافة إلى ذلك فقد كانت في حال ضعف عام نتيجة لانهيار النظام المملوكي نفسه، ولقيام الاضطرابات الداخلية بها[37]، وهو ما أدى إلى حدوث أزمة اقتصادية أدت في النهاية إلى انهيار وسقوط الدولة على يد العثمانيين عام 1517م [38].

(ب) الموقف العسكري:ـ

بعد أن اتجه السلطان الغوري إلى تدعيم قوته، قام بإرسال حملة بحرية بقيادة الأمير حسين الكردي(4نوفمبر1505م)، كان من مهام هذه الحملة تحصين ميناء (جدة) ولبناء سور ذي أبراج عالية لحماية المدينة في حال تعرضت لأي هجوم، كما عمل على إقامة تحصينات دفاعية على طول موانئ البحر الأحمر، خاصة الثغور اليمنية، ترقباً لأي محاولة برتغالية لتهديد البلاد الإسلامية[39]،كما قام المماليك أيضاً بتحصين سواحل البحر الأحمر، حيث قاموا ببناء قوة بحرية في ميناء السويس، وذلك حتى تبقى على أهبة الاستعداد لمواجهة أي تحركات يقوم بها البرتغاليون في المحيط الهندي تجاه البحر الأحمر[40].

(ج) المواجهة البحرية بين الجانبين (موقعة ديو):

وصلت قوة بحرية مملوكية والتي قادها حسين الكردي –كما ذكرنا آنفاً- الى ديو أهم موانئ سلطنة كجرات، ولقد توجه حسين الكردي مع حاكم ديو(مالك أياس) على رأس أسطوليهما إلى (كاليكوت) للاشتراك مع أسطول (السامري) في القضاء على البرتغاليين في ساحل ملبار وطردهم نهائيا من الهند، ولقد واجه القائدان أسطول برتغالي بالقرب من ميناء (شيول) مكون من ثماني سفن، حيث نشبت بين الطرفين معركة بحرية انتصر فيها الأسطول المملوكي وحليفه الكجراتي وذلك في خريف عم 1508م، ولقد سارع حينئذ نائب ملك البرتغال (دااميدا) على رأس حملة بحرية مكونة من تسع عشرة سفينة إلى ديو لمواجهة هذا الخطر، وهناك أحرز البرتغاليون نصراً حاسماً في موقعة (ديو)[41]البحرية في 3 فبراير 1509م،أمام سفن الحلف المصري الهندي التي بلغ عددها مائة سفينة[42] وكنت تلك المعركة في حقيقة الأمر فاصلة القول في انتقال السيادة البحرية في المحيط الهندي والطرق المؤدية إليه، للبرتغاليين ، وهو الأمر الذي أدى إلى حرمان العرب من القيام بأي نشاط بحري تجاري في هذه المنطقة[43].ولقد تأثرت هيبة المماليك السياسية نتيجة هزيمتهم المؤلمة على يد البرتغال، وانتهت دولتهم في مصر والشام الحجاز، وذلك على يد العثمانيين في عام (1516-1517م[44]. ولقد أنشأ البرتغاليون العديد من المراكز على سواحل إفريقيا بحيث تمكنوا من مهاجمة المنشآت العربية المقامة في المحيط الهندي، ومن ثم عملوا على إحراق السفن الإسلامية، ومحاولة هدم المدن والمقدسات وطرد التجار العرب منها، ولفرض نفوذهم قامت البرتغال بإرسال حملة إلى الشرق كان الهدف منها الوصول إلى البحر الأحمر والسيطرة عليه، بقيادة الفونسو البوكيرك ونجحوا في أن يستولوا على

أهم مراكزهم المقامة على الساحل الشرقي لإفريقيا سنة (1509م)[45]. من (سوفالا) جنوباً وحتى (براوه) في الشمال، بالإضافة إلى جزر زنجبار وموزمبيق ومباسا ومافيا، فضلاً على أنه قد تم في عهد البوكيرك حدوث أول اتصال برتغالي مع الأحباش، فقد أرسلت الامبراطورة (هيلينا) -الوصية على ابنها - أحد رجالاتها ويدعى(ماثيوس) إلى الهند ليعرض على نائب ملك البرتغال هناك التعاون بين الطرفين في مواجهة المسلمين وإعلان الحرب عليهم وخاصة المماليك في مصر[46]. وتمكن هذا المبعوث من مقابلة القائد البرتغالي البوكيرك عام (1512م)، والذي بعثه إلى ملكه بعد أن حصل على معلومات ساعدته على أن يهاجم مدينة (زيلع) [47]، وذلك خلال حملته على عدن والبحر الأحمر سنة (1513م)، وقد نجح في مهمته وقفل عائداً إلى الحبشة ترافقه أول بعثة دبلوماسية برتغالية إليها[48]، ولا يقلل من قيمة هذا النجاح أن البرتغاليين لم يتمكنوا من أن يعيدوا (ماثيوس) وتلك السفارة إلى السواحل إلا في عام (1520م)، نتيجة الصعوبات التي طرأت على طرق المواصلات البحرية، وإلى الأخطار المحيطة بالسفر حينئذ، ولقد توفى(ماثيوس) بعد قليل من وصوله إلى الساحل الحبشي قبل أن يقابل نجاشي الحبشة [49]. وفي حقيقة الأمر فقد كان هدف الامبراطورة هيلينا من وراء تصرفها – الآنف الذكر - الحصول على العون والمساعدة من قبل البرتغاليين في سبيل إيقاف المد الإسلامي الذي أصبح يهدد مملكتها وخصوصاً بمدينتي (عدل) و(هرر)، فيما كان يرمي البرتغاليون من وراء ذلك تحقيق هدفهم الأسمى والمتمثل بتطويق العرب من ناحية الجنوب ولإقامة مراكز بحرية على طول البحر الأحمر لمهاجمة مصر والحجاز، والسيطرة على هذه المناطق في قارتي (آسيا- إفريقيا).وبسط نفوذهم على الطرق التجارية المجاورة للبحر الأحمر[50].،

السيطرة على البحر العربي في (هرمز):

بعد أن نجح البوكيرك –كما ذكرنا آنفاً- بالسيطرة على الهند وجعل (جوا) عاصمة للبرتغال ومركزاً تجارياً وحربياً وسياسياً، وبدأ في هذه المرحلة بتطبيق سياسة جديدة تمثلت بقيامه بمحاولة احتلال المضائق البحرية، التي تتصل بطرق التجارة (ملقا ـ باب المندب ـ عدن ـ هرمز) [51].ولقد عمل وبشكل حثيث للحصول على حلفاء محليين لتحقيق أغراضه العدوانية على البلاد الإسلامية عن طريق إقامة علاقات مع الأحباش، وواصل طريقه في سبيل السيطرة على جزيرة ومضيق هرمز، خاصةً بعد وفاة حاكمها[52].إلا أن الحكومة في هرمز عقدت حلفاً مع الصفويين لمواجهة الخطر البرتغالي، لذلك عمد البوكيرك إلى تجهيز حملة تتجه إلى هرمز للاستيلاء عليها، وولى عليها

ابـن أخيه(بـيرو) بعـد أن كلفـه بمراقبـة عـدن والبحـر الأحمـر، ثـم اتجـه لهرمـز، وبعـد محـاولات دبلوماسـية وعسـكرية نجـح في إخضاعهـا لسـيطرتهم ورفـع العلـم البرتغـالي فوقهـا وعقـد تحالفـاً مـع الصفويـين ضـد الأتـراك[53]. وفي عـام 1517م هاجـم البرتغاليـون ميناء زيلـع عاصمـة دولـة عـدل الإسـلامية وأحرقـوا البلـدة ودمروها،ثـم ألحقـوا بهـا مدينـة بربـرة التـي عاثـوا فيهـا فسـاداً ودمـاراً، كمـا احتلـوا في عـام 1520م ميناء مصـوع الـذي كان تابعـاً للسـلطان أحمـد بـن إسـماعيل سـلطان دهلـك وملحقاتـه، وأنزلـوا في الميناء أول بعثـة دبلوماسـية برتغالية إلى الحبشـة[54] وفي عـام 1541م توغـل البرتغاليـون مـن مصـوع باتجـاه الحبشـة، وقاتلـوا مـع الأحبـاش ضـد الإمـام أحمـد بـن إبراهيـم بحجـة الدفـاع عـن المسـيحية، ولقـد سـعى البرتغاليـون لتغيـير مذهـب الأحبـاش مـن الأرثوذكـس الى الكاثوليـك إلا أن الأحبـاش رفضـوا ذلـك وبشـدة، وهـو الأمـر الـذي أدى إلى وقـوع حـروب عنيفـة بـين الأحبـاش وبـين حلفائهـم البرتغاليين،ممـا أدى إلى طـرد البرتغاليـين من الحبشـة نهائيـاً عنـد نهايـة القـرن السـادس عـشر الميـلادي[55]

الموقف العثماني من البرتغال:ـ

بعـد أن ورث العثمانيـون حكـم الدولـة المملوكيـة في سـنة 1517م بـدأوا يحملـون لـواء الحـرب بأنفسـهم ضـد البرتغاليـين في البحـار الشرقيـة بوجـه عـام وفي البحـر الأحمـر بوجـه خـاص ، إذ كان عـلى العثمانيـين أن يعالجـوا أهـم المشـاكل السياسـية والاقتصاديـة التـي واجهوهـا في مـصر بعـد أن حـول البرتغاليـون طريـق التجـارة عنهـا وعـن منطقـة الـشرق الأوسـط، إلى رأس الرجـاء الصالـح ،ممـا جعـل الحـرب مـع البرتغاليـين ضرورة حتميـة[56]، عـلى أن خطـوات العثمانيـين لتدعيـم نفوذهـم في البحـر الأحمـر اتصفـت في بدايـة الأمـر بالضعـف في الفـترة التـي أعقبـت احتلالهـم لمـصر حتـى سـيطروا عـلى اليمـن 1538م، ويرجـع السـبب في ذلـك إلى انشـغالهم في جبهـات متعـددة ممـا جعـل سـيادتهم في هـذا البحـر سـيادة اسـمية رغـم محاولاتهـم المتعـددة لفـرض نفوذهـم الفعـلي هنـاك[57]. وبعـد أن نجحـت الدولـة العثمانيـة في السـيطرة عـلى مـصر والشـام (1516ـ 1517م) وفـرض قوتهـا عـلى الحجـاز، أدركـت أهميـة البحـر الأحمـر والحاجـة الماسـة لتأمـين الملاحـة فيـه، لذلـك عمـدت الى مراقبـة حـركات السـفن البرتغاليـة وغيرهـا مـن السـفن الأوروبيـة، والتـي بـدأت تمخـر عبـاب البحـر خاصـة بعـد كشـف طريـق رأس الرجـاء الصالـح، وهـي مـن الدوافـع الرئيسـية لذلـك النشـاط سـواء منهـا الكشـفي أو الاسـتعماري، مـن أجـل الوصـول إلى مملكـة الحبشـة المسـيحية[58].وربمـا يعـود السـبب مـن وجهـة نظـر المؤرخـين بـأن البرتغاليـين هدفـوا مـن وراء ذلـك التفاهـم، القيـام بتطويـق العالـم الإسـلامي وكان وصولهـم لـشرق القـارة فرصـة لتحقيـق ذلـك[59].

ومن الملاحظ هنا أن العثمانيين باستقرارهم بمصر لم يشتبكوا مع البرتغاليين في موقعة فاصلة تحدد مصير تجارة المحيط الهندي، وكان هذا راجعاً لاشغال العثمانيين بجبهات متعددة، وليس أدل على هذا سوى تأخرهم في إرسال نجدة عسكرية إلى جدة عقب فشل ليمو سواريز في الاستيلاء عليها. والتي وصلت أواخر سنة 1519م عقب مرور سنة ونصف على فشل المحاولة واستنجاد شريف مكة خاير بك بحاكم مصر[60] ولا يدل هذا على تقاعس العثمانيين ،وإنما كان للدور الكبير الذي كانوا يقومون به سواء في أوربا أو في آسيا عقب ضم مصر أثره في أن ينشغل السلطان سليم بأحداث جسام قد تقلق أمن الدولة ، فالسلطان سليم مثلاً لم يتسع له الوقت للبقاء في مصر أثناء مقامه بها، لدراسة أحوالها، ومن ثم التعرف على طبيعة الغزو البرتغالي عن كثب، وذلك بسبب اشتغاله بالخطر الصفوي الذي كان يهدد شرق الأناضول[61] ومنذ سنة 1538م بدأ اهتمام العثمانيين بالبحر الأحمر كمرحلة أولى في هذا الميدان، وبدأت محاولتهم لإخضاع اليمن لنفوذهم تقديراً منهم لأهمية اليمن الاستراتيجية في الصراع ضد البرتغاليين، وبدأت جهودهم في ميدان البحر الأحمر فكانت حملة سليمان باشا الخادم سنة 1538م، الذي تمكن بعد عدة عمليات حربية، وبعد اتصالات جرت بينه وبين حكام اليمن من الوصول إلى عدن والاستيلاء على الميناء ، وتحصينه مثل ميناء جدة، والذي كان قد تم تحصينه من قبل وأصبح مركز قيادة عسكرية متقدمة للدفاع عن البحر الأحمر ضد البرتغاليين[62] ، من هنا تبدأ جذور السياسة العثمانية في منطقة البحر الأحمر ،مهما كانت دوافعها وأهدافها كانت لصالح القوى الإسلامية الموجودة في المنطقة، تلك القوى التي لم تكن بإمكاناتها المحدودة لتستطيع أن تقف وحدها تجاه قوة كبيرة كالبرتغاليين، دفعتها مصالحها الاقتصادية وأهدافها الدينية إلى الهجوم على المنطقة[63]

الصراع العثماني ـ البرتغالي:

الواقع أن أحداث البحر الأحمر والقرن الإفريقي قد شاركت في صنعها قوى عديدة، ففي الجانب الأول نرى الدولة العثمانية واليمن ومسلمى الطراز، أما الجانب الثاني فمثله البرتغاليون والأحباش الحلفاء التقليديون،وكان البحر الأحمر هو المجال الحيوي للبرتغاليين، وما أن وصل العثمانيون حتى أصبح البحر ذاته منطقة صراع[64]. ولقد بدأ العثمانيون يستعدون وبشكل قوي لمواجهة الخطر البرتغالي، والذي تمثل بمحاولتهم مهاجمة العرب والمسلمين، من خلال قيامهم بتأييد الإثيوبيين وتقديم المساعدة لهم ضد الممالك الإسلامية المجاورة لها وظل الوضع كما هو عليه حتى القرن 17م [65].والملاحظ أن

السلطان العثماني سليم الأول لم يتخذ أي إجراءات ضد البرتغاليين، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنه في تلك الفترة كان قد خرج من حربين كبيرين ضد الصفويين والمماليك، وفي واقع الأمر فقد جاء اهتمام العثمانيين بالبحر الأحمر والقرن الإفريقي بعد أن فقدت دولة عدل سيطرتها على الحبشة، وقد كانت القوة العثمانية التي أرسلها والي اليمن مصطفى باشا النشار في عام 1542م إلى الحبشة لنصرة الإمام أحمد بن إبراهيم تصرفاً شخصياً من مصطفى باشا، ولم يكن توجهاً رسمياً اتخذته الدولة العثمانية في اسطنبول[66]. ولقد رأى العثمانيون ضرورة اللجوء إلى استخدام القوة ضد النشاط البرتغالي المواكب له في العداء للمسلمين سواء في البحر المتوسط من جهة أو في البحار الشرقية من جهة أخرى .ولهذا فإن النشاط الإستراتيجي سيبدو واضحاً في هذين النطاقين وسوف يستمر من الناحية الزمنية طول القرن السادس عشر الميلادي، وسوف يكون للعثمانيين الفضل في تشكيل تغطية استراتيجية للحفاظ على أمن العالم الإسلامي في مصر وعالم البحر المتوسط من جهة، وعالم البحر الأحمر من جهة أخرى، ويعد هذا الدور أكبر مكرمة للعثمانيين في جوهر علاقاتهم بأشقائهم في أعالي البحرين المتوسط والأحمر طوال القرن السادس عشر الميلادي[67]. وهنا نلاحظ أن الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين من أجل السيطرة على السواحل العربية كان يقتضي الاستيلاء على مراكز استراتيجية على أراضي مملكة الحبشة المسيحية. فالبرتغاليون وكما هو معروف –كما ذكرنا سابقاً- عن اتصالاتهم بالحبشة ورغبتهم في التعاون معهم قد أحرجوا الدولة العثمانية التي رسمت سياستها تجاه مواجهة ذلك الخطر كالتالي:

أولاً: محاولة حصار الأحباش وتحطيم أية محاولة برتغالية في سبيل جر الحبشة إلى شن حرب مشتركة ضد القوى الإسلامية المنتشرة على السواحل الشرقية والغربية للبحر الأحمر.

ثانياً: اتجاه العثمانيين إلى تعزيز علاقاتهم الودية مع الزعماء والأمراء الصوماليين.

ثالثاً: نجاح العثمانيين في النزول في زيلع ومصوع.

أما على السواحل الشرقية وهي المقابلة للسواحل الحبشية فنجد أن العثمانيين قد تمكنوا من بسط نفوذهم على السواحل اليمنية من واقع حملة سليمان باشا السابقة، وهي السواحل التي فشل البرتغاليون في سبيل التمركز عليها أو محاولة الحصول على مواقع استراتيجية بها كما حدث في حملة البوكرك سنة 1513م، بحيث تمكن العثمانيون من تأمين قواعدهم على طول ذلك الشريط الساحلي ومتخذين منه وسيلة للاطلاع على الأحداث السياسية التي تقع أمامهم على السواحل الحبشية للتدخل في الوقت المناسب –كما سنذكر لاحقاً- عندما أرسلوا إمداداتهم للإمام أحمد بن إبراهيم 1541م[68].وهنا نجد

تناقضاً تاماً في أوجه الاستراتيجية الحربية للعثمانيين والبرتغاليين ،فالعثمانيون عزموا على السيطرة على المواقع الاستراتيجية لمدخل البحر الأحمر من أجل استمرار التجارة عبر البحر ذاته، أما البرتغاليون فكان غرضهم تحويل التجارة من الشرق إلى الغرب[69] ولقد أبدى العثمانيون اهتماماً ملحوظاً بمنطقة القرن الإفريقي والبحر الأحمر في عهد السلطان سليمان القانوني(1520-1566م)لأجل مطاردة البرتغاليين هناك من ناحية، ولإحكام غلق البحر الأحمر من ناحية أخرى، وعلاوة على ذلك فقد أنشأ العثمانيون ولاية تسمى بولاية الحبش وقاعدتها سواكن(1550-1555م) وربطوا بين هذه الولاية وثغر جدة الإسلامي في إدارة واحدة وكما كانت مهمة هذه الإدارة متابعة الدوريات البحرية في البحر الأحمر بين الشاطئ العربي والشاطئ الإفريقي لإحكام السيطرة على هذا البحر والذي أصبح مغلقاً في وجه البرتغاليين بقوة الأسطول العثماني[70] وقد كان نفوذ العثمانيين في القرن الإفريقي لا يتعدى حدود نيابة سواكن التي كانت لا تضم سوى مينائي زيلع وسواكن، اللذين ورثهما العثمانيون عن المماليك، وبعد عزل الأمير ازدمر باشا عن ولاية اليمن في عام1554م، أرسله السلطان سليمان على رأس جيش كبير يتكون من ثلاثة آلاف جندي إلى سواكن لتدعيم النفوذ العثماني هناك وتوسيع مداه، ونجح الأمير أزدمر باشا في أن يضم إلى نيابة سواكن بعض الأقاليم الساحلية بها بما فيها ميناء مصوع[71].

وفي واقع الأمر فقد كان للعثمانيين الفضل في تشكيل تغطية استراتيجية للحفاظ على أمن العالم الإسلامي في مصر وعالم البحر المتوسط من جهة، وعالم البحر الأحمر من جهة أخرى طوال القرن السادس عشر الميلادي، حتى أفل نجم البرتغاليين في البحار الشرقية في نهاية القرن المذكور[72]،ويرجع السبب في ذلك إلى أن البرتغال فقدت استقلالها وضمت إلى أسبانيا في عام 1580م[73] ولم ينقض النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي إلا وكان العثمانيون قد طردوا البرتغاليين من البحر الأحمر واستولوا على الموانئ المهمة على شاطئيه الإفريقي والآسيوي وهي سواكن وعقيق ومصوع ودوهونو على الساحل الإفريقي ،كما استولوا على عدن وحصنوا جدة على الساحل الآسيوي ، وجعلوا البحر الأحمر بحيرة عثمانية أغلقوها في وجه السفن المسيحية ، وفي منتصف هذا القرن أيضا عين العثمانيون حاكماً تركياً على مصوع وآخر على سواكن، ووضعوا هذين الحاكمين تحت إشراف والي جدة وهو حاكم الحجاز،كما استعانوا بأحد الزعماء الوطنيين وهو نائب (أركيكو) للمعاونة في أعمال الحكومة بمصوع، واستعانوا أيضاً بآخر مثله في سواكن، وكلفوهما بجباية الضرائب من القبائل المنتشرة على الساحل الغربي للبحر الأحمر[74]. وتجدر الإشارة إلى أن نضال العثمانيين

ضد البرتغاليين قد امتد كذلك إلى الساحل الإفريقي لإفريقيا، حيث أرسل السلطان العثماني مراد الثالث (1574-1595م) القائد البحري (ميرال بك) في سنة 1588م بقوة لتخليص البلاد الإسلامية الواقعة على الساحل الشرقي لإفريقيا من السيطرة البرتغالية، ولقد قوبل القائد العثماني بالترحاب من قبل سكان الإمارات الإسلامية في (مدغشقر) و(براوا) و (وقسيمايو) إذ نظروا إليه نظرة المخلص من يد الأجنبي وفضلوا الخضوع للعثمانيين المسلمين عن الولاء للبرتغاليين[75].

إقامة المراكز التجارية:

أقام البرتغاليون خلال محاولاتهم السيطرة على القرن الإفريقي العديد من القواعد العسكرية وذلك من خلال بناء الحصون والقلاع وبناء الحاميات الدفاعية والمراكز التجارية بهدف السيطرة على الطريق التجاري المرتبط بالهند، حيث أقاموا أولى هذه المراكز على الساحل الإفريقي في جهته الغربية، وذلك في عهد الأمير البرتغالي (هنري الملاح) وهي (بنين) في العام (1486م)، و(ساحل غانا) وخصوصاً في (أرجوين) و(المنيا)، ثم انطلقوا إلى الجنوب حتى وصلوا إلى سواحل (الكونغو)[76].

البرتغاليون في شرق القارة:

كما ذكرنا آنفاً بأنه ونتيجة لرغبة البرتغال في إيجاد محطات لهم رئيسية للطريق المؤدية إلى الهند، من خلال الاستيلاء على المراكز التجارية في المنطقة، وبعد أن نجح البرتغاليون في السيطرة على منطقتي شمال وغرب القارة وأجزاء من الجهة الجنوبية [77]. ولقد توجت جهود البرتغاليين في هذه الفترة بمحاولة السيطرة على الساحل من خلال قوة عتادهم العسكري، فتوقفوا في الساحل الشرقي(القرن الإفريقي)[78]، بحيث لم يحاولوا التقدم إلى الداخل، واختاروا البقاء في منطقة كانت في تكوينها الطبيعي صالحة لرسو السفن التي تصل إليها [79].واهتموا ببناء الحصون والمراكز التي تألفت من حصن وكنيسة ومنشأة يقيم فيها التجار الجنود سواءً كانوا برتغاليين أو أفارقة مسيحيين[80].وفي واقع الأمر فقد سعى البرتغاليون عندما قدموا إلى المنطقة في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، إلى تدمير المدن والمراكز التجارية والحضارية العربية، فعندما استولوا على مدينة زنجبار عام (1503م) ، -أظهروا من خلال ذلك حقدهم الدفين والقديم ضد العرب- قتلوا سكانها وأحرقوا أبنيتها وخربوا المدن والقرى، حيث تذكر المصادر أن البرتغاليين دمروا حوالي (300) مسجد في المدينة [81].وفي عام 1505م هاجموا مدينة كلوه، ونجحوا في احتلالها بعد أن عملوا فيها القتل والسلب والنهب، وقبل مغادرتها قاموا بإضرام النيران فيها فاحترقت كلياً ولم يتركوها إلا وهي رماداً [82].

إقامة القواعد العسكرية:

وفي حقيقة الأمر فقد تمكن البرتغاليون بعد استيلائهم على أهم المدن الواقعة في الشرق الإفريقي، من السيطرة على أهم أعمدة القواعد العسكرية العربية في القرن الإفريقي[83]، وذلك عام (1506م) حيث استولوا على كل من لامور وبراوه وجزيرة سقطرى[84]، وكلها تقع على البحر العربي والمحيط الهندي، كما سيطروا على (موزمبيق) عام(1507م) [85].ونورد بعض الأعمال التي قام بها البرتغال من أجل فرض قوتهم على المنطقة وذلك من خلال الآتي:

أ) بناء الحصون على الساحل:

في واقع الأمر فقد كان لنجاح البرتغال في اختيار خط السبق عن غيرها من الدول الأوروبية في مجال الاستعمار، وقربها من الساحل الإفريقي قد ساعدها في بلوغ هذه المنطقة، والوصل إلى شرق القارة، وإقامة أول حصونهم المسمى (أرحيوم) غرباً، تلاها بناء الكثير من القلاع والحصون في أطراف إفريقيا، وكان حصن(سوفالا) أهم الحصون بالنسبة للبرتغاليين وهو من الثغور العربية القديمة[86]. فيما أقاموا قلعة على الساحل الشرقي للقارة، في مدينة (ممباسا) وذلك بعد السيطرة عليها، والتي أصبحت العين الحامية لنفوذ البرتغال في هذه المنطقة، ولقد عين قائدها وكلاء له في الموانئ المجاورة لها مثل (كلوه) (زنجبار) و(ممباسا) [87].كما أقام البرتغاليون في جزيرة سقطرى حصناً قوياً ليكون القاعدة الدائمة لعملياتهم البحرية في المحيط الهندي.[88]. ولقد قام البرتغاليون أيضاً ببناء حصن منيع في مدينة موزمبيق بعد سيطرتهم عليها عام (1507) وبنوا فيها كنيسة ونزل للجنود، وجعلوها قاعدة عسكرية لحكمهم في هذه المنطقة، وقد نجح البرتغاليون من خلال تلك الحصون والقواعد التي أقاموها أن يراقبوا النشاط التجاري، واستطاعوا ضرب حصار اقتصادي على البلاد العربية وخاصة مصر، مما أدى إلى ضعف دولة المماليك وانهيارها اقتصادياً وهو ما نتج عنه سقوطها النهائي وسطرة العثمانيين عليها في (1517م) [89].

ب- إقامة الحاميات الدفاعية:

قام البرتغاليون باتباع أسلوب دفاعي جديد من خلال إقامة الحاميات الدفاعية، والتي تمثل البداية الأولى لمحاولة السيطرة على السواحل، وذلك بعد أن فشلوا في الاستيلاء على المراكز التجارية الواقعة على ساحل البحر الأحمر مثل (هرر، مصوع، سواكن) بغية توطيد أقدامهم في تلك المناطق[90]. ولقد أنشأ البرتغاليون أول حامية على الساحل الغربي للقارة، لخدمة أهدافهم

التجارية والاستعمارية، وهي (أرحويم) في جزيرة مقابلة للرأس الأبيض، ثم انتقلوا إلى الساحل الشرقي وكان أهم مركز أقاموه في سفاله لمواجهة الخطرين المملوكي والعثماني [91].

أثر الوجود البرتغالي على الساحل الإفريقي.

لعل من أهم الآثار التي تركها البرتغاليون في هذه المنطقة هي القلاع والحصون والأسوار والموانئ التي ابتنوها خلال محاولتهم السيطرة على القرن الإفريقي[92].بالإضافة إلى إننا نجدهم قد عمدوا على إعادة تعمير المدن التي تم احتلالها عسكرياً، والتي كانوا قد دمروها في السابق، وخاصة على الساحل الشرقي الإفريقي، وإقامة الكنائس الدينية في بعض التجمعات السكنية والثكنات العسكرية، بهدف نشر المسيحية بين الأفارقة، وأيضاً إقامة المراكز التجارية التي انشأوها لأغراض اقتصادية. ومن الآثار التي خلفها البرتغاليون، السياسة التي اتسمت بنوع من الاستغلال والاحتكار والمعاملة السيئة التي عاملوا بها السكان، وهو ما ترك كراهية لهم من قبل الأهالي، مما عمق في نفوسهم العدوان والعنف في سلوكياتهم وهو ما اتضح في عمليات (الرقيق) وكيف كان يتم التعامل معهم[93].

العلاقات البرتغالية مع الزعامات المحلية في القرن الإفريقي:

أولاً: على السواحل الغربية (1534):ـ

أراد البرتغاليون بعد وفاة الأمير هنري استمرارية الأنشطة البحرية، واستكمالاً لما بدأه، حيث تمكنوا من الوصول إلى خليج غانا، وأقاموا بعض القلاع على سواحلها الغربية، وخلال ذلك التقدم كانوا يعقدون الاتفاقات مع رؤساء القبائل أينما نزلوا[94] .

ثانياً: في السواحل الشرقية:

في حقيقة الأمر قد واجه البرتغاليون في منطقة القرن الإفريقي العديد من الصعوبات في عقد اتفاقات أو معاهدات مع الزعماء والحكام المحليين هناك، ويرجع السبب في ذلك إلى استخدامهم العنف ضد السكان، اتضح ذلك بشكل جلي أثناء رحلة فاسكو دي جاما عام (1497م) إلى الهند وبعد عودته منها، حيث قام بضرب مدينة مقديشو بالمدافع وكان ذلك نقطة البداية للصراع الطويل بين البرتغاليين والعرب[95].أما في زنجبار فقد كانت علاقتهم مع حاكمها مضطربة، ولذلك لم تنجح قواته في أن تتصدى لهجوم السفن البرتغالية المجهزة بأحدث الأسلحة من مدافع ثقيلة، ما اضطر سلطانها لأن يدفع الفدية مقابل انسحاب تلك القوات[96]. كما أجبر البرتغاليون حكام كل من كلوة وممباسا وزنجبار بالإضافة إلى مدينة (سفاله) [97].على تقديم المؤن

والغذاء لقادة القلاع والحصون التي أقامها البرتغاليون، وهو الأمر الذي يؤكد أن العلاقة بين الطرفين اتسمت خلال هذه المرحلة بمعاداة كل طرف للآخر[98]. فيما نجحوا في استمالة شيوخ مالندي حيث استغلوا فرصة الصراع بينهم وبين حكام ممباسا[99].ولقد حاولت البرتغال أن تسيطر على مناجم الذهب في منطقة القرن الإفريقي وإدارتها لصالحها وذلك على أسس علمية حديثة، والعمل على طرد التجار العرب منها والذين كانوا يزاولون مهنة التبادل السلعي فيها منذ قرون، بعد أن نجحوا في تمهيد المواصلات بين المنطقة والساحل ولهذا ارسلوا عدة حملات محاولين إخضاع السكان لسلطاتهم وهو ما أدى للاحتكاك المستمر مع زعماء القبائل المحلية، والذين كانوا يزاولون نفس النشاط مع العرب المقيمين في الثغور الساحلية[100]. وهنا تجدر الإشارة، إلى أن هذا الجانب من العلاقات قد أثر سلباً على مجريات الأوضاع في القارة، ولإعطاء صورة أوضح عن هذا الصراع وتلك المحاولات المبذولة من البرتغال، بعد أن نجحوا في الوصول لشرق القارة، تحدث بعض الرحالة بأنه وقبل مجيء البرتغاليين إلى المنطقة بزمن قامت فيها مملكة إفريقية عرفت بـ(الموبوماتابا)، كونها قبائل من البانتو وكانت هذه القبائل تستخرج الصخور المحتوية على الذهب فتطحنها وتغربلها بحيث تعزل المعدن وتبيعه للوسطاء العرب[101].ثم يقوم هؤلاء التجار بنقله عبر نهر (الزمبيزي) [102] إلى كلوة وهو الميناء التجاري الذي أسسه العرب على الساحل الشرقي، أو عبر الطرق المؤدية لميناء سفاله، ولقد سيطر البرتغاليون على تلك المملكة بهدف الاستحواذ على مناجم الذهب فيها[103]. ولكنهم رأوا أن استخرج الذهب سيكلفهم أكثر من قيامهم بعملية شرائه من الأهالي، ولقد حاول البرتغاليون الوصول أيضاً لمناجم الفضة والتي قيل إنها كانت موجودة في هذه المملكة، لكن مهاجمة القبائل في المنطقة للحصون التي أقامها البرتغاليون حالت دون تحقيق غرضهم الآنف الذكر، وبهذا فقد البرتغاليون كل أمل نحو تحقيق هدفهم، واكتفوا بفرض الضرائب على زعماء المناطق في الداخل، وتركهم يستخرجون مواردهم بأنفسهم، وظل أولئك الحكام يقدمون ضرائبهم كل ثلاث سنوات، ومع مرور الوقت تحول الأمر إلى احتكار الدولة للموارد[104] وبالإضافة إلى ذلك عقد البرتغاليون العديد من الاتفاقات مع زعماء تلك المناطق والذين تعهدوا بحماية التجار البرتغالين وممن يرغب بالعمل في مناجم الذهب وأن يقتصر التعامل معهم دون العرب [105]،على أن عدداً من التجار البرتغاليين استقروا في تلك المناطق وأثروا فيها [106].

كما عمد البرتغاليون على انتزاع مساحات كبيرة من الأراضي على ضفاف نهر الزمبيزي وفي الساحل، من خلال شراء تلك الأراضي من زعماء القبائل باستخدام القوة والتهديد وبأبخس الأثمان[107].وبذلك يمكن القول بأنه

قد وجدت بعض القوى التي تحالفت مع البرتغاليين وقدمت لهم العون، بينما نرى جماعات أخرى تجمعت وشكلت نوعاً من المقاومة الشعبية ضد المستعمر البرتغالي، وقادت حركات الجهاد في سبيل نيل استقلالها، وحرية بلدها.

المقاومة الشعبية ضد المستعمرين البرتغاليين:

واجه البرتغاليون في شرق إفريقيا(القرن الإفريقي) ثورات متعددة ومقاومة من الإفريقيين والعرب المستقرين بهذه المناطق ولقد مدت الدولة العثمانية يد العون والمساعدة لتلك الثورات المناهضة للبرتغاليين، ومن أبرز هذه الثورات ثورة (سلطان ممباسا) ، والثورة التي تزعمها(مير علي) في مقديشو وامتدت إلى المناطق المجاورة، وثورة (الإمام أحمد بن إبراهيم في الصومال)،وقد استعان البرتغاليون بقواتهم البحرية لإخمادها، ولذلك اضطر البرتغاليون في نهاية المطاف لتركيز سلطتهم في مناطق محدودة فاتخذوا من موزمبيق والتي استعمروها عام(1507م) مقراً لهم واهتموا بتحصينها لتصبح مركزاً لسيادتهم بشرق إفريقيا[108].

ثورة سلطان ممباسا(1528م):

لم يستطع البرتغاليون أن يوطدوا أقدامهم بسهولة في شرق إفريقيا بسبب مقاومة السكان لهم، فقد بدأت في سلطنة ممباسا حركة المقاومة العربية ضد البرتغاليين في (935هـ/1528م)، حيث حاول سلطان المدينة تحريض السكن في (زنجبار) على طرد البرتغاليين، إلا أن السلطات البرتغالية أسرعت بضرب حصار عليها، ثم عرضت على الحاكم فرض معاهدة تشترط فيها مقابل فك الحصار أن يدفعوا فدية لهم أو يتعهدوا بعدم الاتصال المباشر بالعثمانيين[109]ومع ذلك فقد نجح العثمانيون في أن يحدوا من الضغط البرتغالي على التجار العرب والإمارات العربية الساحلية، حيث حطموا كل المحاولات الرامية إلى تكوين (جبهة أوروبية- حبشية) ضد القوى العربية[110].

ثورة علي ميرال (1588م):

امتد نضال العثمانيين ضد البرتغاليين إلى الساحل الشرقي لإفريقيا .فقد أرسل السلطان العثماني مراد الثالث (1574-1595م) أحد أمراء البحر العثمانيين ويدعى (علي ميرال) [111] عام1588م على رأس قوة لتخليص البلاد الإسلامية الواقعة على الساحل الشرقي لإفريقيا في (مدغشقر) و(براوا) و(قسيمايو) و(مقديشو) من السيطرة البرتغالية، وقد قوبل القائد العثماني بالترحاب من قبل سكان تلك الإمارات الإسلامية، إذ نظروا إليه نظرة المخلص من يد الأجنبي وفضلوا الخضوع للعثمانيين المسلمين عن الولاء للبرتغاليين[112]، ولقد استطاع ميرال وبمساعدة الأهالي أن يحتجز بعض السفن البرتغالية ويرسل بحارتها إلى الأستانة، إلا

أن ثورته ضد البرتغاليين لم يكتب لها النجاح حيث وقع أسيراً في أيدي البرتغاليين وأرسل إلى (لشبونة) عاصمة البرتغال وتوفى هناك، غير أن العثمانيين لم يستطيعوا أن يحتفظوا في هذه البلاد بقوات تثبت سلطانهم وتحمي السكان من إغارات البرتغاليين الذين مالبثوا أن استعادوا نفوذهم على المدن والإمارات العربية الواقعة على الساحل الشرقي لإفريقيا، باستثناء مقديشو[113].

- ثورة الإمام أحمد بن إبراهيم (الصومال):ـ

من ضمن الشخصيات الإسلامية القوية التي ظهرت في منطقة القرن الإفريقي في ذلك الوقت الإمام أحمد بن إبراهيم(1506-1542م) [114] والملقب (بأحمد جرين)- حيث شعرت القوى الاستعمارية بخطورته- والذي تمكن من توحيد كلمة الناس وبدأ جهاده الطويل من أجل وضع حد لهذه السياسة، في حين أن الحبشة كانت منقسمة إلى مقاطعات، وتمتاز في غالبيتها بوجود مسلمين بينما كان الجزء الآخر منقاداً وخاضعاً لحكامه من العرب[115].ولقد عمد الإمام أحمد بن إبراهيم إلى تكوين جبهة قوية لمقاومة البرتغاليين، حيث سار من هرر وبلاد عدل ماراً(بسواكن) [116]، ومنها إلى بقية الأقاليم الحبشية لتوحيد الصفوف بين مجاهديها[117].

ولقد قدم العثمانيون للإمام أحمد بن إبراهيم يد العون والمساعدة، خصوصاً بعد علمهم بمهاجمة البرتغاليين للسويس عام (1540م)، ومحاولاتهم مهاجمة جده وينبع، ولم تكن مساعدتهم له بالكافية[118] والواقع أن العثمانيين بتأييدهم الإمام بن جرين إنما كانوا يؤيدون مجاهداً كغيره من المجاهدين، وهو طريق كان عليهم أن يسلكوه ويصلوا إلى نهايته،لأن الدولة العثمانية صاحبة النفوذ الجديد في البحر الأحمر لن تقف موقف المتفرج حيال ما يعتمل بالمسلمين في القرن الإفريقي، إذ كان عليها تكملة المشوار الذي بدأه السلطان قانصوه الغوري لحماية طرق التجارة من ناحية ولصد البرتغاليين وتأمين طريق الحج من ناحية أخرى، فكما جاء البرتغاليون واتصلوا بزعماء مالندي وبعض زعماء الموانئ الهندية والحبشية ليضمنوا لأنفسهم أرضاً صلبة يقفون عليها، جاء العثمانيون كذلك، والفرق هنا أن العثمانيين وأحمد بن جرين تجمعهم عقيدة واحدة ومبدأ واحد ألا وهو صيانة الدين الإسلامي، أما البرتغاليون فلم تكن بينهم وبين من حالفوهم مثل ذلك، وصحيح أن المسيحية تجمعهم مع الحبشة ولكن بمجرد فرض المذهب الذي يعتنقونه نشبت الاضطرابات في الحبشة نفسها[119]

وفي واقع الأمر فقد اشتبك الإمام بن جرين مع الجيوش الحبشية في موقعة شامبا كوري حيث تمكن من تشتيتها وإلحاق هزيمة كبرى بها وبذلك النصر تم له تحرير معظم مدن الطراز الإسلامي من سيطرة الأحباش.ولقد انتصرت قواته رغم ضعف إمداداتها، عندها أسرع الأحباش بطلب العون من البرتغاليين، والذين أرسلوا فرقة مكونة من المدفعية والبحرية لمساعدتهم ضد المقاومين، والتي وصلت سنة (1541م)، إلى ميناء مصوع حاملين

معهم الأسلحة النارية والمدافع الثقيلة[120].وبالتالي أدى وصول تلك الأسلحة إلى تفوقهم، إلا إن الإمام بن جرين كان قد أعاد تنظيم صفوف جيشه في صيف سنة 1542م بعدما وصلته الإمدادات العسكرية من مصطفى باشا النشار والي اليمن، وفي فبراير 1543م قامت القوات المسيحية المتحالفة بمهاجمة جيوش الإمام أحمد بن جرين المعسكرة في (وينا داجا)، وكان قتالاً عنيفاً استخدم فيه البرتغاليون كافة الأسلحة الحديثة، حيث اتجهت إلى اختراق صفوف الجيوش الإسلامية مما أدى إلى اضطراب صفوفها إزاء الضغط الشديد للأسلحة الحديثة التي يمتلكها البرتغاليون ، أما بالنسبة للمجاهدين فكانت مؤنهم قد قاربت على النفاذ، وفي نهاية المعركة استشهد المجاهد(أحمد جرين) في ميدان القتال عام (1543م)، وعادت جموع الثوار إلى بلادهم، وبذلك انتهت الحرب بمحافظة الأحباش على قوتهم[121].

إزاء تلك الأحداث لم يهمل العثمانيون السواحل الحبشية، خاصة وقد أدركوا تماماً مخاطر التحالف الحبشي البرتغالي، ومدى النتائج التي حققت نتيجة ذلك التحالف، لهذا نجدهم قد رسموا سياستهم كالتالي:

أولاً: تشديد قبضتهم على السواحل الحبشية، خاصة مصوع وسواكن وجدة التي تمركزت بها حامياتهم باعتبارها نقاط الوصل بين حامياتهم المنتشرة على طول السواحل الحبشية في محاولة قطع الاتصالات بين الطرفين، ولم يكن ذلك يعني أن امتلاك الحبشة بالنسبة للعثمانيين أمر ضروري للغاية، وإنما أمر مرغوب فيه حتى لاتتاح الفرصة للبرتغاليين للتمركز هناك، ومن ثم تهديد الأماكن المقدسة[122].

ثانياً: إغلاق البحر الأحمر في وجه البرتغاليين حيث بدأت السفن العثمانية عقب دخول حملة ستفانوا دي جاما، في تنظيم دوريات تتجول بانتظام داخل البحر الأحمر، وبلغ شدة يقظة تلك الدوريات العثمانية أن نائب ملك البرتغال في الهند الذي جاء عقب ستفانوا دي جاما ، قرر مؤقتاً منع كافة المحاولات البرتغالية للاتصال بالأحباش نظراً لكثافة النشاط البحري للعثمانيين أمام السواحل الحبشية[123].

ثالثاً: العمل على تطهير السواحل العربية الجنوبية من السفن البرتغالية المتناثرة بها، ومن أجل هذا أرسل العثمانيون في ربيع الثاني من سنة 947هـ/1541م ثماني سفن حربية إلى المخاء وعدن من مصر،حيث لحقتها فيما بعد 12سفينة تحمل إمدادات وجنوداً[124]. وأخيراً فقد أثبتت الأحداث السياسية السابقة التي مر بها البرتغاليون سواء في المحيط الهندي أو أثناء حروبهم مع الإمام أحمد بن إبراهيم أن سيطرة البرتغاليين على الحبشة يجب أن تكون مستمرة، ذلك أن ترك العثمانيين يهددونها أمر قد ينتهي بهم إلى جعلها مملكة إسلامية، وهذا بدوره ما يساعد على جعل البحر الأحمر بحيرة إسلامية تساعد العثمانيين على الخروج واعتراض السفن مابين شرق إفريقيا والهند،خاصة إذا علمنا أن السفن المتجهة من لشبونة إلى الهند كانت تتوقف في شرق إفريقيا للاستراحة والتزود بالمؤن[125].

التعاون البرتغالي مع الحبشة ضد العثمانيين:

عقد البرتغاليون حلفاً مع حاكم ممباسا لمواجهة القائد العثماني الأمير (علي بك شلبي)، الذي كان قد اتخذ منها قاعدة لتحركاته الحربية، ولقد استطاع هذا القائد جذب اهتمام القادة الأفارقة إليه بحيث أثار في صفوفهم موجة كره للبرتغاليين[126]. حيث كانت تحركاته تلك تصل تباعاً للسلطات البرتغالية بواسطة حاكم بلدة(مالندى)، والذي كان موالياً لهم، ولقد شهد عام 1586م معارك عنيفة بين الجانبين،حيث هاجم القائد العثماني قاعدة البرتغال في هذه البلدة، إلا أن أحد الأساطيل البرتغالية هاجمته ودحرته وحاصرته في (ممباسا) وتفاجأ بالآلاف من القبائل الحبشية الزنجية، فوقع بين فكي الكماشة الأحباش من جهة والبرتغاليين من جهة أخرى[127]. ولذلك فضل الاستسلام للبرتغاليين، ويقال بأنه أرسل أسيراً إلى لشبونة ومات فيها، عقب ذلك عمد البرتغاليون إلى تثبيت مواقعهم على المحيط الهندي حيث قاموا سنة (1586م) ببناء قلعة فيها وأطلقوا عليها(الميرانتي) أي الأدميرال، وقد أثر على مجريات الأحداث بروز قوتين جديدتين في المنطقة وهما، الهولنديون والانجليز[128]. واتخذ الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين على السواحل الإفريقية الشرقية صوراً متعددة، منها أن الدولة العثمانية كانت تؤيد تعاون الممالك الإسلامية المحيطة بهضبة الحبشة والتي سميت بممالك الطراز، بينما كانت البرتغال تؤيد الحبشة وتعينها على مهاجمة هذه الممالك المحيطة بها[129] . وقد اتخذ الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين على السواحل الإفريقية الشرقية بما فيها السواحل الإفريقية للبحر الأحمر صوراً متعددة، منها أن الدولة العثمانية كانت تؤيد وتعاون الممالك الإسلامية المحيطة بهضبة الحبشة والتي سميت بممالك الطراز، بينما كانت البرتغال تؤيد الحبشة وتعينها على مهاجمة هذه الممالك المحيطة بها، وظل الصراع حتى القرن السابع عشر الميلادي، عندما فترت الحمية بين الدولتين وضعفت قوتيهما فتركت الدولة العثمانية اليمن في سنة 1635م، ولم يبق تحت سيطرتها إلا بعض الثغور الإفريقية كمصوع، بينما اضطر البرتغاليون للتنازل عن مكانتهم في البحار الشرقية لمنافسيهم الهولنديين[130]. وبذلك نقول بأن البرتغاليين وبتحالفهم مع الأحباش، شكلا بهذا قوة كبرى وقفت في وجه القوة الإسلامية والتي كان يمثلها (العثمانيون) والذين ومع نهاية القرن 16م، استطاعوا أن يوقفوا المد البرتغالي حول منطقة القرن الإفريقي بحيث لم يتمكنوا من أن ينفذوا إلى داخل القارة، وإنما سيطروا على البحر والساحل الشرقي لإفريقيا فقط.

ظهور قوى بحرية جديدة في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر:

لما كانت جهود البرتغال قاصرة عن الاستغلال الكامل لمستعمراتها في شرق إفريقيا، بسبب قلة عدد البرتغاليين في تلك المستعمرات والحاجة الملحة إلى رؤوس أموال ضخمة لاستغلال المستعمرات، فقد منحت البرتغال في مستعمراتها امتيازات كبيرة لشركات أجنبية تجارية تابعة لدول أخرى[131] وفي واقع الأمر فإن الأسباب في ذلك تعود إلى أن الملك البرتغالي كان يحتكر تجارة السلع المربحة فلم يترك مجالاً للبرجوازية في الأنظمة الهولندية والفرنسية والبريطانية، إذ إن تأسيس البرجوازية للشركات الاحتكارية كان يربط مصالح كثير من الأفراد بحركة الاستعمار، هذا فضلاً عن عدم وجود نظام دقيق في البحرية البرتغالية، وتكرر حوادث التمرد والخلافات بين الضباط البرتغاليين، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور قوى بحرية جديدة في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، تمثلت هذه القوى في الهولنديين والبريطانيين والفرنسيين، وقد تميزت هذه القوى المنافسة بأنها كانت أكثر إدراكاً للمصالح التجارية، فقد دخلت هولندا حلبة الصراع في البحار الشرقية لتحقيق أهدافها الاستعمارية عندما أسست شركة الهند الشرقية الهولندية عام 1594م[132] ثم أعقبتها إنجلترا التي أسست شركة الهند الشرقية الإنجليزية في عام1600م،وكذلك أسست فرنسا شركة الهند الشرقية الفرنسية عام 1664م، [133] مما أدى في نهاية المطاف إلى تحطيم الاحتكار البرتغالي لتجارة الشرق الذي استمر قرابة قرن من الزمان منذ أن وصلت السفن البرتغالية إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح في عام 1498م[134]. وفي نهاية المطاف نستطيع القول أن الامبراطورية البرتغالية في الشرق سارت إلى الاضمحلال والزوال، عندما فقدت استقلالها ووقعت تحت الاحتلال الأسباني لمدة ستين عاماً(1580-1640م) وأهملت أسبانيا مستعمرات البرتغال في الشرق مما جعلها نبهاً للدول الأخرى[135]،ولقد وقف في وجه البرتغاليين- بعد أن نشروا الخراب في الشرق- العثمانيون،حيث استطاعوا أن يطردوا البرتغاليين من البحر الأحمر ثم سيطروا على الأجزاء الشمالية من شرق إفريقيا(إرتريا وشمال الصومال) [136].

نتائج البحث:

1. بين البحث حجم النزاعات وعمق الخلافات التي كانت تعاني منها منطقة القرن الإفريقي والتي كانت من أهم دوافع الاستعمار البرتغالي ونتائجه في ذات الوقت.
2. أولى العثمانيون منذ سنة 1517م اهتماماً بالغاً بالبحر الأحمر وشرق إفريقيا وأصبحت مسؤولية حمايتهما وسواحلهما تقع على عاتقهم.

3. لم يتمكن البرتغاليون من النفوذ والسيطرة على الداخل وإنما اقتصرت سيطرتهم على منطقتي البحر والساحل.
4. تركز وجود البرتغاليين في (أنجولا وموزنبيق) فيما بعد حتى نالتا استقلالهما.
5. أدركت الدولة العثمانية بعد أن نجحت في السيطرة على مصر والشام (1516ـ 1517م) وفرض قوتها على الحجاز، أدركت أهمية البحر الأحمر والحاجة الماسة لتأمين الملاحة فيه.
6. نجح العثمانيون في أن يحدوا من الضغط البرتغالي على التجار العرب والإمارات العربية الساحلية، حيث حطموا كل المحاولات الرامية إلى تكوين (جبهة أوروبيةـ حبشية) ضد القوى العربية.
7. قامت العديد من الثورات الشعبية في منطقة القرن الإفريقي المناهضة لمحاولات البرتغال للسيطرة عليه، نتيجة الاستغلال والاحتكار الذي مارسه البرتغاليون ضد أهالي القرن الإفريقي.
8. واجه البرتغاليون في شرق إفريقيا (القرن الإفريقي) ثورات متعددة ومقاومة من الإفريقيين والعرب المستقرين بهذه المناطق وقد لقيت تلك الثورات تأييداً من قبل العثمانيين.

التوصيات:

1. ندعو الجامعات اليمنية ومراكز الأبحاث والدراسات التاريخية إلى الاهتمام بدراسة منطقة البحر الأحمر القرن الإفريقي وذلك لما لها من أهمية سياسية واستراتيجية كبرى بالنسبة لليمن والدول المجاورة.
2. ندعو جميع الباحثين إلى كتابة وتدوين تاريخ الدول المطلة على البحر الأحمر والقرن الإفريقي، وذلك لكون الموقعان يمثلان عمقا استراتيجياً وبعداً قومياً لتلك الدول.

المصادر والمراجع:

(1) غربال، محمد شفيق، (وآخرون): الموسوعة العربية الميسرة، ط1 ، مج1، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، بيروت، ، 1987م ، ص1047.

(2) السلمان، محمد حميد: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين (1507م ـ 1525م)،مركز زايد للتراث والتاريخ، العين ، 2000م، ص26.

(3) حميدي، جعفر عباس: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ط1،دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، 2002م ، ص70.

(4) المصدر السابق، ص 72.

(5) يحيى، جلال : تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م، ص63.

(6) السلمان، محمد حميد: المصدر السابق، ص29

(7) المصدر نفسه، ص 29.

(8) الهجري، عبدالحكيم: المحاولات البرتغالية للسيطرة على عدن (1513 ـ 1538م)، مجلة الثوابت، العدد(48)، إبريل ـ يونيو2007م، ص211 .

(9) رمضان، عبدالعظيم: تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، ج2، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م ،ص35.

(10) الجمل، شوقي(وآخرون): تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار الثقافة، القاهر،2001م،ص115.

(11) هنري الملاح : أمير برتغالي (1394ـ 1460م)، اشتهر بدعمه للملاحة والكشوف الجغرافية، (الزركلي،خير الدين: الأعلام،ط6،دار العلم للملايين، بيروت ،لبنان،1984م،ص504).

(12) تسن، فرغلي علي :تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر،دار الوفاء للطباعة والنشر ،الاسكندرية،2001م، ص31

(13) المصدر نفسه، ص33.

(14) رياض، محمد : افريقيا دراسة لمقومات القارة ،ط2 ، دار النهضة العربية، بيروت، ، 1973م، ص40.

(15) غربال، محمد شفيق، (وآخرون): المصدر السابق، ص550.

(16) الجوهري، يسري : الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، ط3، دار المعارف، الاسكندرية، ، 1979م ، ص156.

(17) نفس المصدرالسابق، ص159.

(18) 18 غربال، محمد شفيق: المصدر السابق ،ص342.

(19) 19فاسكو دي جاما: (1469 ـ 1524م) كان أول قائد برتغالييكتشف الطريق البحري إلى الهند(ماكرو، إريك : اليمن والغرب (1571ـ 1962م) [ترجمة وتحقيق] : حسين عبدالله العمري، ، دمشق 1978م، ص13.

(20) وايدنر، دونالد: تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء [تر]: شوقي الجمل، مج2. مؤسسة سجل العرب بالإشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرةـ نيويورك 1976م ص24.

(21) نفس المصدر السابق، ص24.

(22) يحتل إقليم ملبار الجزء الجنوبي من ساحل الهند الغربي،وهو إقليم خصب تكثر به التوابل ،وبه الكثير منالموانئ الهامة مثل كاليكوت وكوشن وكانور وكولم(سالم،سيد مصطفى:الفتح العثماني الأول لليمن(1635-1538م)، ط7،دار جامعة صنعاء للطباعة والنشر،صنعاء،2010م،ص70).

(23) نفس المصدر السابق ، ص71.
(24) 24الرمال ، غسان علي محمد:صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري- السادس عشر الميلادي،رسالة ماجستير –لم تنشر-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،جامعة الملك عبدالعزيز،1981م،ص67.
(25) أباضه، فاروق عثمان: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839-1918، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1987م،ص 47.
(26) فليجه، أحمد نجم: أفريقيا دراسة عامة وإقليمية،مؤسسة شباب الإسكندرية،(د.ت) ،ص26.
(27) نفس المصدر السابق، ص28.
(28) يحيى، جلال : تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ،1983، ص65.
(29) رياض، زاهر: تاريخ استعمار أفريقيا واستقلالها. ، دار المعرفة، القاهرة 1966م، ص44.
(30) نفس المصدر السابق: ص45.
(31) 31القوزي، محمد علي: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر،، دار النهضة العربية، بيروت،(د.ت)،ص15.
(32) عياد،خالد حماد:أهمية جزر البحر الأحمر في الأمن القومي العربي جزيرة حنيش الكبرى وتيران وصنافير دراسة حالة2017-1956م،أطروحة دكتوراه –لم تنشر-كلية الدراسات العليا،جامعة مؤتة،الأردن،2017م،ص1.
(33) أباضه،فاروق عثمان: اثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسطأثناء القرن السادس عشر.ط2،دار المعارف،القاهرة،(د.ت) ،ص37.
(34) العيدروس، عبدالقادر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ،بغداد 1934م، ص65.
(35) الرمال ، غسان علي محمد:صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر،ص81.
(36) اغي، إسماعيل(وآخرون): تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج2، دار المريخ، الرياض1993م، ص252.
(37) سالم،سيد مصطفى: المصدر السابق،ص82.
(38) الجمل، شوقي(وآخرون): دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، المكتبة المصرية للمطبوعات، القاهرة،(د.ت)،ص85.
(39) الهجري، عبدالحكيم: المحاولات البرتغالية للسيطرة على عدن(1513ـ 1538م)، المرجع السابق، ص224.
(40) متولي، أحمد: البحرية البرتغالية والعثمانية في القرن 10هـ/ 16م على ضوء الوثاق التركية.، مجلة كليةالعلوم الاجتماعية، العدد (4) الرياض ،1980م، ص69.
(41) ديو: جزيرة تقع في شمال غرب الهند، وقد ظلت مستعمرة برتغالية حتى استعادتها الهند عام 1961م (عودة، عبدالملك : السياسة والحكم في أفريقيا، القاهرة ،1956م، ص71.
(42) سالم،سيد مصطفى: المصدر السابق ، ص85 .
(43) مؤنس، حسين : الشرق الإسلامي في العصر الحديث، مطبعة حجازي، القاهرة، 1935م، ص1،35 .
(44) نفس المصدر السابق، ص35.
(45) سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني الأول لليمن،ص74.

(46) المصدر نفسه، ص91.
(47) زيلع: ميناء على الساحل الأفريقي لخليج عدن، ازدهرت أوائل القرن 16م (غربال، شفيق: الموسوعة العربية الميسرة ص929).
(48) سالم، سيد مصطفى: المصدرالسابق، ص403.
(49) وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين (-14 20)، مج1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1971، ص403).
(50) بواهن، آ.آدو: تاريخ أفريقيا العام في ظل السيطرة الاستعمارية (1880ـ 1935م)، مج7،اليونسكو، باريس، 1988م ،ص55.
(51) ابن بطوطة،محمد بن عبدالله: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج1، القاهرة، 1938م، ص173.
(52) القوزي، محمد علي: المصدر السابق، ص41.
(53) المصدر نفسه، ص44.
(54) ناود،محمد سعيد:العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي،(د.ت)،ص111.
(55) سالم،سيد مصطفى:الفتح العثماني الأول لليمن،ص433.
(56) أباضه، فاروق عثمان: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839-1918، ص 49-48 .
(57) نفس المصدر السابق،ص48.
(58) القوزي، محمد علي : تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر،المصدر السابق ،ص48.
(59) حميدي، جعفر عباس: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر،، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص35.
(60) متولي،أحمد فواد:الفتح العثماني للشام ومصر وخدماته،ص231.
(61) الرمال ،غسان علي محمد:صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر،المصدر السابق،ص225.
(62) حسن،إبراهيم محمد:البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى،ط1،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،القاهرة،1998م،ص38.
(63) الحميد،عبداللطيف محمد:البحر الأحمروالجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى 1337-1332هـ/1918-1914م،ط1994،1م،ص15.
(64) الرمال،غسان علي محمد:صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الاحمر،المصدر السابق،ص256.
(65) مؤلف مجهول: تاريخ الحبشة ، القاهرة ،1973 ، ص203
(66) برخت ،احمد ماح:وثائق عن الصومال والحبشة وارتيريا، شركة الطوبجي للطباعة والنشر ،القاهرة،1973م،ص189.
(67) أباضه،فاروق عثمان :أثر تحول التجارة،المرجع السابق ،ص94.
(68) الرمال،غسان علي محمد:صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر،المصدر السابق،ص258-257.
(69) حسن ،إبراهيم:الإمام أحمد بن إبراهيم القرين،رسالة ماجستير لم تطبع ،جامعة القاهرة،ص75.
(70) حسن ،إبراهيم محمد ، المرجع السابق،ص38.
(71) سالم،سيد مصطفى:الفتح العثماني الأول لليمن،ص430-211.
(72) أباضه،فاروق عثمان: المصدر السابق ،ص 94.
(73) نفسالمصدر السابق ،ص 131.
(74) أباضه، فاروق عثمان: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839-1918،ص54.

(75) نفس المصدر السابق:ص55

(76) إبراهيم، عبدالله، (وآخرون) : تاريخ أفريقيا الحديث المعاصر، دار الثقافة، القاهرة2001، ص30.

(77) إسحاق، محمد عبدالعزيز : نهضة أفريقيا، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ،1971م،ص25

(78) نفس المرجع السابق، ص32.

(79) سيلاسي، بيركيتهايتي: الصراع في القرن الأفريقي، [تر] عفيف الرزاز،، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1980م، ص55.

(80) طاهر، أحمد : أفريقيا فصول من الماضي والحاضر،، دار المعارف، القاهرة1975،ص20.

(81) كلوه: كانت حاضرة لمملكة الزنج التي تأسست في القرن 4م ولكن لعدم اتحادها مع الممالك المجاورة لم تصمد طويلًا أمام قوة البرتغاليين (ياغي، إسماعيل(وآخرون): تاريخ العالم الإسلامي،ص258).

(82) حميدي، جعفر عباس: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ،المصدر السابق، ص73

(83) سمونوف، فلاديمير: أفريقيا قارة ثائرة،[تر]: بدر السيد ، دار الثقافة الجديدة، القاهرة 1982م،ص95.

(84) غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص986.

(85) موزمبيق: مستعمرة برتغالية جنوب أفريقيا على المحيط الهندي، نشطت فيها تجارة الرقيق (وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين،ص251) .

(86) موسى، عايدة العزب: العبودية في أفريقيا والتاريخ المفقود ،ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004م، ص45.

(87) الجمل، شوقي(وآخرون): دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص38-37.

(88) الدالي، الهادي مبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن 18م،، الدار المصرية اللبنانية، الإسكندرية،(د.ت) ، ص65.

(89) المصدر نفسه، ص67

(90) العمري، أحمد سويلم: الأفريقيون والعرب ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1967م ، ص139.

(91) متولي، أحمد: البحرية البرتغالية- العثمانية في القرن (15ه/ 16م) ، ص90.

(92) عودة، محمد الخطيب: تاريخ العرب الحديث ،ص363.

(93) القوزي، محمد علي : تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ص14.

(94) جوليان ، شارل اندريه: تاريخ أفريقيا (تر): طلعت عوض أباظة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1986م ، ص15.

(95) وزارة التربية التعليم: التاريخ الحديث، ط18، مطبعة أسعد، بغداد، 1973م ، ص45.

(96) المصدر نفسه ، ص48.

(97) سفالة: مدينة في الجزء الجنوبي الشرقي من موزمبيق كانت في أقاصي مملكة الزنج زارها كثير من البرتغاليين وكانت الثغر الوحيد لتصدير الذهب (وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين،ص983.

(98) وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين ، ص820.

(99) غربال، محمد شفيق، وآخرون: الموسوعة العربية الميسره ،ص1062

(100) العمري: احمد حمود: عمان وشرق أفريقيا ، عمان 1980، ص70

(101) ياغي، إسماعيل ، (وآخرون): تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ص254.

(102) الجمل، شوقي: تاريخ أفريقيا، ص34.

(103) رأفت ، إجلال، (وآخرون): القرن الأفريقي (المتغيرات الداخلية والصراعات الدولية)، دار النهضة العربية، القاهرة 1985م،ص87.
(104) حافظ ، صلاح الدين: صراع القوى العظمية حول القرن الأفريقي، في : مجلة عالم المعرفة، العدد(49) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون . الكويت1982م.ص85؛الجمل، شوقي (وآخرون): دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص78.
(105) ((أحمد، عبدالعال: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه نصوص جديده مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني(بامخرمه) كما سجلها في مخطوط قلادة النحر، (دراسة وتحقيق)الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م، ص66.
(106) المصدر نفسه، ص80
(107) العيدروس، محمد حسن: تاريخ العرب الحديث ،القاهرة 2001م ، ص 45.
(108) الجمل، شوقي (وآخرون):تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر،ص114.
(109) المصدر نفسه، ص17
(110) يحيى، جلال: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1999م ، ص112
(111) الجمل، شوقي (وآخرون):المصدر السابق،ص121.
(112) أباضه،فاروق عثمان: اثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء،المصدر السابق،ص130.س
(113) غربال، محمد شفيق، وآخرون: الموسوعة العربية الميسره، ، صـ950.
(114) يوسف،عبدالملك محمد:الإمام أحمد بن إبراهيم ودوره في القرن الإفريقي (949-912هـ/-1506 1542م)،رسالة ماجستير (لم تنشر)،قسم التاريخ ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة صنعاء، 2013م،ص67-59.
(115) الجمل، شوقي ، (وآخرون): دراسات في تاريخ شرق أفريقيا،ص60.
(116) يوسف،عبدالملك محمد:المصدر السابق، ص60.
(117) الرمال،غسان علي محمد:صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر،المصدر السابق،ص273.
(118) الجمل، شوقي ، (وآخرون):المصدر السابق، ص61.
(119) الرمال،غسان علي محمد:صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر،المصدر السابق،ص273.
(120) ياغي، إسماعيل (وآخرون): تاريخ العلام الإسلامي الحديث والمعاصر،ص255.
(121) العيدروس، محمد حسن: المصدر السابق ، ص97.
(122) الرمال،غسان علي محمد:صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر،المصدر السابق،ص293-292.
(123) (سالم،سيد مصطفى:الفتح العثماني الازل لليمن،ص404)
(124) الرمال،غسان علي محمد:صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر،المصدر السابق،ص293.
(125) نفس المصدر السابق،ص295.
(126) طاهر، أحمد : أفريقيا فصول من الماضي والحاضر، ص450
(127) وايدنر، دونالد: تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء ، ص58.
(128) المصدر نفسه، ص60
(129) أباضه،فاروق عثمان: اثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء،المصدر السابق،ص130.
(130) أباضه، فاروق عثمان: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1918-1839، المصدر السابق،ص 55.

(131) الجمل ،شوقي(وآخرون):تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر،ص123.
(132) العقاد،صلاح:التيارات السياسية في الخليج العربي،مكتبة الانجلو مصرية،القاهرة،1965م،ص21.
(133) 133PP.4Hoskin،H.L:British Routes to India،1928.
(134) أباضه،فاروق: اثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح،المصدر السابق، ص133.
(135) البطريق،عبدالحميد (وآخرون):التاريخ الأوروبي الحديث ،دار النهضة العربية ، بيروت (د.ت)، ص57.
(136) شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ج8، ط4، المكتب الإسلامي ،بيروت، 1991م، ص568.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: قائمة المصادر العربية والمراجع:

(1) أحمد، عبدالعال: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه نصوص حديده مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني(بامخرمه) كما سجلها في مخطوط قلادة النحر، (دراسة وتحقيق)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1980م.

(2) أباضه، فاروق عثمان: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839-1918، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1987م.

(3) أباضة،فاروق عثمان: اثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر،ط2،دار المعارف،القاهرة،(د.ت).

(4) إبراهيم، عبدالله، (وآخرون): تاريخ افريقيا الحديث المعاصر، دار الثقافة، القاهرة2001.

(5) ابن بطوطة،محمدبن عبدالله: تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، ج1، (د.ن)، القاهرة، 1938م.

(6) اسحاق، محمد عبدالعزيز : نهضة أفريقيا، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة 1971م.

(7) برخت ،احمد ماح:وثائق عن الصومال والحبشة وارتيريا،شركة الطوبجي للطباعة والنشر ،القاهرة،1973م.

(8) البطريق،عبدالحميد (واخرون):التاريخ الأوروربي الحديث ،دار النهضة العربية ، بيروت (د.ت).

(9) بواهن، آ.آدو: تاريخ أفريقيا العام في ظل السيطرة الاستعمارية(1880-1935م)، مج7 . اليونسكو، باريس1986م .

(10) تسن، فرغلي علي : تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندري 2001.

(11) جوليان، شارل اندريه: تاريخ افريقيا (تر): طلعت عوض أباظه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة 1986م .

(12) الجوهري، يسري: الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، ط3،دار المعارف، الاسكندرية 1979م.

(13) حافظ، صلاح الدين: صراع القوى العظمية حول القرن الأفريقي، في : مجلة عالم المعرفة، العدد(49)، المجلس الوطني للثقافة والفنون . الكويت1982م.

(14) حسن، إبراهيم محمد:البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى،ط1،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،1998م.

(15) حسن ،إبراهيم:الإمام أحمد بن إبراهيم القرين،رسالة ماجستير لم تطبع ،جامعة القاهرة،(د.ت).

(16) الحميد، عبداللطيف: البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، ط1 ، مكتبة العبيكان، الرياض، 1994م.
(17) حميدي، جعفر عباس: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، دار الفكر للطباعة والتوزيع، عمان، 2002.
(18) الجمل، شوقي(وأخرون): تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار الثقافة، القاهر،2001م.
(19) الجمل، شوقي(واخرون): دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ، المكتبة المصرية للمطبوعات، القاهرة، (د.ت).
(20) الدالي، الهادي مبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن 18م، الدار المصرية اللبنانية، الاسكندرية،(د.ت) .
(21) رأفت ، إجلال، (وآخرون): القرن الأفريقي (المتغيرات الداخلية والصراعات الدولية)، دار النهضة العربية، القاهرة 1985م.
(22) الرمال ، غسان علي محمد:صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري- السادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير –لم تنشر-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،جامعة الملك عبدالعزيز،1981م.
(23) رمضان، عبدالعظيم: تاريخ اوروبا والعالم في العصر الحديث، ج2، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م.
(24) رياض، زاهر: تاريخ استعمار أفريقيا واستقلالها. ، دار المعرفة، القاهرة 1966م.
(25) رياض، محمد : افريقيا دراسة لمقومات القارة ، ط2 ، دار النهضة العربية، بيروت، ، 1973م.
(26) الزركلي، خير الدين: الأعلام،ط6،دار العلم للملايين، بيروت ،لبنان، 1984م.
(27) سالم، سيد مصطفى : الفتح العثماني الاول اليمن(1538 ـ 1635م)، ط7، دار جامعة صنعاء للطباعة والنشر، صنعاء 2010م.
(28) السلمان، محمد حميد:الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة مابين(1507-1525م)، مركز زايد للتراث والتاريخ،العين،2000م.
(29) سلاسي، بيركيت هايتي: الصراع في القرن الأفريقي. [تر] . عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1980 .
(30) سمونوف، فلاديمير: أفريقيا قارة ثائره .[تر]: بدر السيد . دار الثقافة الجديدة، القاهرة 1982م .

(31) شاكر، محمود:التاريخ الإسلامي،العهد العثماني، ج8،ط4،المكتب الإسلامي ، بيروت،1991م.
(32) طاهر، أحمد : افريقيا فصول من الماضي والحاضر. دار المعارف، القاهرة1975.
(33) عبدالرزاق، عبدالله، الجمل، شوقي: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا. المكتب المصري للمطبوعات، القاهرة(د.ت) .
(34) عبدالرسول، كوثر، رياض، محمد: أفريقيا دراسة لمقومات القارة، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م.
(35) العقاد،صلاح:التيارات السياسية في الخليج العربي،مكتبة الانجلو مصرية ،القاهرة،1965م.
(36) العمري: احمد حمود: عمان وشرق أفريقيا ، عمان 1980.
(37) العمري، أحمد سويلم: الافريقيون والعرب . مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1967م (د.ط).
(38) عودة، عبدالملك : السياسة والحكم في أفريقيا.(د.ت)، القاهرة 1956م
(39) عودة، محمد، (وآخرون) : تاريخ العرب الحديث . الاهلية للنشر، عمان.
(40) العيدروس،عبدالقادر:النور السافر عن أخبار القرن العاشر،بغداد1934م.
(41) العيدروس، محمد حسن: تاريخ العرب الحديث،القاهرة 2001م .
(42) غربال، محمد شفيق، وآخرون: الموسوعة العربية والميسره، ط1، مج، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، بيروت، 1987م.
(43) فليجه، أحمد نجم الدين: افريقيا دراسة عامة وإقليمية ،مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية (د.ت) .
(44) القوزي، محمد علي : في تاريخ افريقيا الحديث والمعصار، دار النهضة العربية، بيروت (د.ت) .
(45) ماكرو، إريك : اليمن والغرب (1571ـ 1962م) [ترجمة وتحقيق] : حسين عبدالله العمري، ، دمشق 1978.
(46) متولي،أحمد فواد:الفتح العثماني للشام ومصر وخدماته،(د.ط)،(د.ت)
(47) موسى، عايدة العزب : العبودية في افريقيا والتاريخ المفقود، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة 2004م.
(48) مؤلف مجهول: تاريخ الحبشة ، القاهرة ،1973.

(49) مؤنس، حسين : الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط1، مطبعة حجازي، القاهرة1935م.

(50) ناود، محمد سعيد: العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي،(د.ت).

(51) رأفت ، إجلال، (وآخرون): القرن الأفريقي (المتغيرات الدولية والصراع الدولي) ، دار النهضة العربية، القاهرة ،1985م .

(52) وزارة التربية التعليم: التاريخ الحديث، ط18، مطبعة أسعد، بغداد 1973م.

(53) وايدنر، دونالد: تاريخ افريقيا جنوب الصحراء [تر]: شوقي الجمل، مج2، مؤسسة سجل العرب بالإشتراك مع مؤسسةفرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك 1976م .

(54) وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن (14-20)، ط3،مج1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت 1971م.

(55) ياغي، إسماعيل، شاكر، محمود: تاريخ العلام الاسلامي الحديث والمعاصر، ج2. دار المريخ، الرياض 1993م .

(56) يحيى، جلال: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية 1983م .

(75) يحيى، جلال : تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 9991م.

ثانيا الرسائل العلمية:

(1) عياد،خالد حماد:أهمية جزر البحر الأحمر في الأمن القومي العربي جزيرة حنيش الكبرى وتيران وصنافير (دراسة حالة6591-7102م)،أطروحة دكتوراه –لم تنشر-كلية الدراسات العليا،جامعة مؤتة،الأردن،7102م

(2) يوسف،عبدالملك محمد:الإمام أحمد بن إبراهيم ودوره في القرن الإفريقي (219-949هـ/6051-2451م)،رسالة ماجستير (لم تنشر)،قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة صنعاء، 3102م.

ثالثا: المجلات الدورية:

(1) متولي، أحمد : البحرية البرتغالية ـ العثمانية في القرن (51هـ/ 61م) على ضوء الوثائق التركية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد (4) الرياض ،0891م.

(2) الهجري، عبدالحكيم: المحاولات البرتغالية للسيطرة على عدن (3151ـ 8351م)، مجلة الثوابت، العدد (84) ابريل ـ يونيو 7002م.

رابعاً: المصادر الأجنبية :

Hoskin،H.L:British Routes to India،1928.1-